ليبيا
2021-4-5

-

الـــدور الـــروســـي فـــي لـيـبـيا
التاريخ والمقاربة والسلوك

يـوسـف لـطـفـي

منتدى العاصمة
للدراسات السياسية والمجتمعية

@CAPITALFORUM1

الفهرس

تمهيد 2
تاريخ السياسية الخارجية الروسية تجاه ليبيا 5
الأطماع السوفيتية ما بعد الحرب العالمية الثانية: 5
العلاقات السوفييتية الليبية في حقبة القذافي 7
التقييم الأمريكي للعلاقات السوفييتية الليبية: 10
أثر سقوط الاتحاد السوفييتي على العلاقات مع ليبيا 12
عودة روسيا الاتحادية وثورة 17 فبراير 13
ليبيا من منظور جيوسياسي 16
المكانة الجيوسياسية لليبيا من منظور القوى الكبرى 16
أمن الطاقة 19
مقاربة موسكو 23
أثر الثورات العربية: جزر ثم مد 23
المقاربة الأفريقية: ماذا تريد موسكو من إفريقيا؟ 24
المقاربة الليبية : حلفاء واشنطن والشركات العسكرية الخاصة كمدخل للملف الليبي 27
الموقف الأوروبي والأمريكي والخيارات المتاحة 31
عزوف واشنطن وضعف أوروبا : 31
حلفاء واشنطن كجسر لموسكو : 34
الخاتمة 38
آفاق ومآلات الدور الروسي: 38

تمهيد

لعبت القوى الإقليمية والدولية منذ الأيام الأولى لثورة السابع عشر من فبراير دورا فعالا في المشهد الليبي، وتراوحت أدوار هذه القوى وعمق انخراطها حسب تطلعات وأهداف كل منها، فشهدت الساحة تراجعا ملحوظا لدور القوى الدولية بعد أن لعبت دورا محوريا في عملية إسقاط القذافي، بينما لعبت الدول الإقليمية والعربية دورا أكثر فاعلية في مرحلة ما بعد سقوط القذافي، وكان لدولتي الإمارات العربية المتحدة وقطر الحضور الأبرز عبر الدعم المادي لطرفي النزاع في الصراع الأهلي، إلا أن دولة الإمارات تفوقت في تنوع الدعم وكثافته حيث تجاوز دعمها لحليفها الأبرز اللواء خليفة حفتر الإمداد بالسلاح والدعم السياسي إلى إنشاء قواعد عسكرية والتزويد بالطائرات الحديثة والمقاتلين والخبراء الأجانب وفتح قنوات اتصال دولي مع حلفائها الدوليين[1]، ثم برز الدور المصري في أواخر 2013 وظهر بوضوح في منتصف عام 2014 وجاء على شكل دعم لوجستي وفني وأمني، وبرز دور المملكة الأردنية كدور مكمل لدور كل من الإمارات ومصر، وفي الخلفية بدا دور المملكة العربية السعودية باهتا عبر علاقاتها الوثيقة بالأطراف الإقليمية الداعمة لحفتر وبالتيار السلفي المدخلي في ليبيا.

شكل تدخل هذه الدول ديناميكيات الصراع الليبي، فالصراع الأهلي تغذى بدرجة كبيرة على الدعم والتوجيه الخارجي وقد كان لدولتي الإمارات ومصر الدور الأكبر في التأثير على سير الأحداث، حيث عملت مصر كقاعدة إمداد لوجستي وسخَّرت قواعدها في سيوة وسيدي براني لدعم العمليات العسكرية التي أطلقها خليفة حفتر في الشرق والغرب، ولعبت دولة الإمارات الدور الأكبر بتعزيزها لحضورها العسكري عبر تأسيس قاعدة "الخادم" العسكرية شرق البلاد وحضورها السياسي عبر اختراق العملية السياسية التي قادتها بعثة الأمم المتحدة مما أثر بشكل كبير على مسارها ونتائجها[2]، بينما لعبت قطر على الجهة الأخرى دورًا أقلَّ تأثيرا في الصراع العسكري والعملية السياسية، وقد تضاءل دورها حتى توارى عن الأنظار في أواخر عام 2016 بعد دخول حكومة الوفاق للمشهد.

عادت الأطراف الدولية للمشهد الليبي بعد تفاقم الأزمة وبعد عام من نشوب الحرب الأهلية في منتصف 2014، واقترنت عودتها بانطلاق العملية السياسية في عام 2015، إلا أن التدخل الدولي اتسم بالفوضوية والازدواجية هذه المرة، فعلى عكس التدخل الدولي في عام 2011 ظلت بعض القوى الدولية المتدخلة

[1]- ARNAUD DELALANDE ,Erik Prince's mercenaries are bombing Libya, War is Boring, 14-Jan-2017

[2]-Randeep Ramesh, UN Libya envoy accepts 1000$-a-day job from backer of one side in civil war, The Guardian, 4-Nov-2015

كفرنسا -ولاحقا روسيا- تنكر تورطها في الصراع العسكري الليبي أو دعمها لطرف على حساب آخر رغم ظهور أدلة واضحة على دعمها لخليفة حفتر، وبدخول حكومة الوفاق للمشهد السياسي أعلنت كل الأطراف الدولية والإقليمية دعمها للحكومة بصفتها الحكومة الشرعية، إلا أن هذا الإعلان لم يثن الأطراف الراعية لحفتر عن دعمه في شن هجومه على حكومة الوفاق في طرابلس في أبريل 2019.

إغفال القوى الدولية -التي ساهمت في إسقاط القذافي- للمشهد الليبي منذ عام 2011 حتى 2015، وفقدان بعثة الأمم المتحدة مصداقيتها وحيادها –بعد ثبوت فساد مبعوثها برناردينو ليون-[3] وفشلها في تنفيذ مهمتها، أفقد هذه الأطراف جزءا كبيرا من تأثيرها على مسار الأحداث على الأرض، ومع فشل المسار السياسي وتفاقم الانتهاكات الدولية لحظر التسليح، فتح المجال لروسيا لتكون طرفا مؤثرا في الصراع الدائر بعد أن أُبعدت عن الملف الليبي عقب التدخل العسكري لحلف شمال الأطلسي في عام 2011، وعلى عكس فرنسا التي كانت خجولة في دعمها لحفتر فقد صعدت روسيا من وتيرة دعمها له، ووثقت علاقتها معه بشكل علني عبر الزيارات وفتح قنوات التواصل ودعوته لموسكو والظهور معه إعلاميا، كما عززت وجودها على الأرض عبر الشركات الأمنية وتقديم الخدمات والاستشارات العسكرية، إلا أن موسكو في مقاربتها هذه لم تتبنَّ موقفا أيدولوجيًّا، فقد حافظت على علاقاتها مع مناوئي حفتر في حكومة الوفاق وأكدت اعترافها باتفاق الصخيرات ومخرجاته على لسان لافروف ونائبه بوغدانوف، كما حافظت على قنوات تواصل غير رسمية مع أزلام النظام السابق عبر مجموعة فاغنر التي بلغ انخراطها في المشهد الليبي مستويات عميقة تتجاوز العمل العسكري والأمني حيث تساهم في إدارة حملات إعلامية لصالح حفتر وسيف الإسلام القذافي، كما تساهم بتوجيه وسائل إعلام ليبية حيث تمتلك حصصا تبلغ 50% في قنوات أنصار النظام السابق[4]، وفي ظل غياب دور واضح وفعال للولايات المتحدة لم يواجه الدور الروسي مجابهة قوية من القوى الغربية في بادئ الأمر بل لقي ترحيبا من الولايات المتحدة على لسان قائد قوات الأفريكوم "توماس والدهاوسر"[5]، في حين حذرت بريطانيا من الدور الروسي على لسان وزير دفاعها السابق مايكل فالون في 2017عام وقدمت لاحقا في فبراير 2019 مشروعا في مجلس الأمن يطالب بسحب مرتزقة فاغنر من ليبيا، ومع مُضي الوقت وتمدد النفوذ الروسي على الأرض تصاعدت حدة التصريحات الأمريكية حول الدور الروسي تدريجيا، وبعد أن استغلت موسكو حملة حفتر العسكرية على حكومة الوفاق بطرابلس في تعزيز حضورها في المشهد عبر

[3] المرجع السابق.

[4] أنس جانلي، "فاغنر الروسية .. أخطبوط المرتزقة في ليبيا"، الأناضول، 20 إبريل 2020.

[5] - فيدي أروفي، "الولايات المتحدة: نرحب بالدور الروسي في ليبيا ولا مفر من حفتر"، تونسيا تيلجراف، 27 فبراير 2017.

مجموعة فاغنر الروسية وعبر تزويدها بمنظومات دفاع جوي وطائرات حربية أرسلت عبر سوريا إلى قاعدة الجفرة الجوية حسب ما أعلنت قيادة الأفريكوم في تقريرها المنشور في 18 يونيو 2020[6]، أعلن وزير الخارجية الأمريكي مايك بومبيو في 22 سبتمبر 2020 في تغريدة له على منصة تويتر عن استهداف الولايات المتحدة لمجموعة من فاغنر في ليبيا، حيث قال "استهدفت الولايات المتحدة شبكة مرتبطة بالعميل الروسي يفغيني بريغوجين تعمل على تعزيز النفوذ الروسي الخبيث في جمهورية أفريقيا الوسطى وليبيا[7]"، إلا أن هذا الاستهداف الباهت لم يغير شيئا في المعادلة العسكرية على الأرض، حيث لازالت مجموعة فاغنر تحافظ على مواقعها في خط سرت-الجفرة وفي قاعدة الخادم الإماراتية، كما أنها لازالت حاضرة بقوة في محيط أهم حقول النفط الليبية.

تبحث هذه الورقة الانخراط الروسي المتزايد في الصراع الليبي والذي يأتي ضمن سياسة أشمل وأوسع تنتهجها موسكو تجاه أفريقيا والشرق الأوسط، مع استعراض موجز لتاريخ السياسة الخارجية الروسية تجاه ليبيا منذ عام 1945، ومن ثم ننطلق لأهمية ليبيا الجيوسياسية عبر المراحل التاريخية، ودوافع موسكو وتطلعاتها وما هي الأساليب المستخدمة من قبلها وما هو الموقف الأوروبي-الأمريكي منها وما هي خياراتهم، وأخيرا آفاق ومآلات التدخل الروسي.

[6]- New evidence of Russian aircraft active in Libyan airspace, U.S Africa command public affairs, 18-Jun-2020.

[7]- تغريدة وزير الخارجية الأمريكي مايك بومبيو على حسابه على منصة تويتر https://twitter.com/SecPompeo/status/1308791352222789633?s=19

تاريخ السياسية الخارجية الروسية تجاه ليبيا

الأطماع السوفيتية ما بعد الحرب العالمية الثانية:

نشطت سياسة موسكو الخارجية تجاه ليبيا عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية وهزيمة إيطاليا الفاشية، حيث خرج الاتحاد السوفيتي من الحرب كقوة عظمى اعتبرت أن لها الحق في التوسع وتحديد ماهية وشكل النظام العالمي ما بعد الحرب، الأمر الذي عبر عنه نائب وزير الخارجية السوفييتي مكسيم ليتفينف بقوله "إذا كانت مناطق الانتداب اليوم ترتبط بنتائج الحرب العالمية الأولى فإن المناطق الأفريقية التي فقدتها إيطاليا هي من نتائج الحرب العالمية الثانية التي يعود للجيش الأحمر الدور الأهم في إنهائها بالنصر"[8]، و من هذا المنطلق طالب الاتحاد السوفيتي بأن تكون له حصة من المستعمرات الإيطالية السابقة (الصومال، ليبيا، أثيوبيا) وليبيا بالدرجة الأولى باعتبارها المنطقة الأكثر ملاءمة للأسطول السوفيتي آنذاك، وقد انطلقت الأطماع السوفيتية حينها من الرغبة في الوصول لمياه المتوسط والتوجه للجنوب والتحول من قوة بحرية إقليمية إلى قوة بحرية عالمية، وهو طموح قديم متجدد منذ عهد بطرس الأول الذي شن عدة حملات عسكرية على حصن "آزوف" العثماني والذي استتبت السيطرة لروسيا عليه في عهد كاترينا الثانية ومنه انطلقت موسكو لتهيمن على الساحل الشمالي والغربي للبحر الأسود، وقد كان الوصول للبحر الأسود طموحًا روسيًّا ضمن استراتيجية أكبر تهدف للوصول للبحر المتوسط، واشتركت في هذا الطموح القيادات الروسية عبر التاريخ منذ عهد روسيا القيصرية مرورا بالاتحاد السوفيتي ووصولا لروسيا الاتحادية.

رغم أن اهتمام الاتحاد السوفيتي كان منصبًّا على ملفات إقليمية حساسة ومحورية مثل: شرق أوروبا والقوقاز وبحر قزوين، إلا أن أهمية ليبيا الجيواستراتيجية أسالت لعاب القادة السوفييت الذين رأوا أن الظروف مواتية للتوسع خارج دول كتلتهم ومناطقهم التاريخية وتحقيق حلمهم التاريخي بالوصول للبحر المتوسط، فطرح جوزيف ستالين مسألة رغبة الاتحاد السوفييتي في تقاسم الوصاية على المستعمرات الإيطالية وطالب بالوصاية على إقليم طرابلس لأول مرة في مؤتمر بوتسدام عام 1945، ورغم أن توصيات نائب وزير الخارجية مكسيم ليتفينف طالبت بالوصاية على برقة إلا أن ستالين رأى أنها مطالب غير واقعية ومبالغ فيها بسبب الحضور البريطاني القوي هناك، لذا اكتفى الاتحاد السوفييتي بالمطالبة بالوصاية على إقليم طرابلس كمطلب أكثر واقعية[9].

---

[8]- Sergei Mazov, Cold War History, The USSR and the former Italian colonies 1945-1950, Russian Academy of science, 09-Aug-2006, p:53.

[9] المرجع السابق صفحة 56

صورة "الثلاثة الكبار" جوزيف ستالين وهاري ترومان وونستون تشرشل في مؤتمر بوتسدام 17 يوليو-2 أغسطس 1945

لاقت مطالبة ستالين بإقليم طرابلس معارضة شديدة من تشرشل الذي رد بأن طرابلس تقع في مجال المصالح البريطانية[10] وأن القوات البريطانية حاربت من أجل تلك المنطقة وتكبدت خسائر خلال ذلك، وأُحيلت مسألة مصير المستعمرات الإيطالية لاجتماع وزراء خارجية دول الحلفاء، واستمر التفاوض حولها عبر عدة اجتماعات في عام 1946، حيث اقترح وزير خارجية الاتحاد السوفييتي فيلاتسلاف مولوتوف في الاجتماع الأول تقاسم المستعمرات الإيطالية على أن تتولى موسكو إدارة إقليم طرابلس، فجوبه طلبه برفض بريطاني/أمريكي/فرنسي، واقترح وزير الخارجية الأمريكي جيم بيرنز وضع ليبيا تحت وصاية الأمم المتحدة على أن تنال استقلالها خلال عشر سنوات، بينما اقترح وزير الخارجية البريطاني ارنست بيفن أن تتنازل إيطاليا عن مستعمراتها وكان رده على المطالب السوفييتية " إن الحكومة البريطانية تؤيد مطالب الاتحاد السوفييتي فيما يخص حدوده الغربية وكل القرارات المتعلقة بذلك، وإذ تعتبر أفريقيا الشمالية ذات السيادة منطقة لمصالحها الحيوية فإن الحكومة البريطانية تلقت باستغراب مطالب الوفد السوفييتي فيما يتعلق بطرابلس، إن المطالب البريطانية في هذه المنطقة كمطالب روسيا فيما يتعلق بأوروبا الشرقية. فهي ترمي إلى ضمان الأمن وهي مبررة تماما "[11]، وفي الاجتماع الثاني غير السوفييت من تكتيكهم وطالبوا بالإبقاء على ليبيا تحت الوصاية الإيطالية دعما للحزب الشيوعي الإيطالي الذي كان من المتوقع أن يفوز في الانتخابات، ثم عاد السوفييت في الاجتماع الثالث للمطالبة بتقسيم البلاد بين الدول الأربعة فتم رفض

[10] ستالين وليبيا بعد الحرب العالمية الثانية. كيف كادت طرابلس أن تصبح جمهورية سوفيتية، روسيا اليوم، 22-مارس-2017

[11] Sergei Mazov, Cold War History, The USSR and the former Italian colonies 1945-1950, Russian Academy of science, 09-Aug-2006, page 58

هذا المقترح أيضا[12]، وبعد مماحكات سياسية طويلة حاول فيها الانجليز والأمريكان إبقاء السوفييت بعيدا عن ليبيا، أحيلت القضية الليبية إلى الأمم المتحدة في عام 1948 واستمرت المناورات السياسية من قبل بريطانيا التي قادت الجهود الدبلوماسية ضد الاتحاد السوفييتي داخل أروقة الأمم المتحدة وخارجها[13]، حيث عملت على تعطيل المشاريع والمقترحات السوفييتية داخل الأمم المتحدة وعقدت اتفاقا خارج نطاق عمل اللجنة السياسية مع إيطاليا وفرنسا، اتفقوا فيه على وضع برقة تحت وصايتها وإبقاء طرابلس تحت وصاية إيطاليا وفزان تحت وصاية فرنسا، شرط أن تُمنح ليبيا استقلالها خلال عشر سنوات، وعرف الاتفاق لاحقا باسم "Bevin–Sforza."[14]، وحرصت بريطانيا على منع توحد الأقطار الليبية الثلاث (فزان، برقة، طرابلس) وشجعت النزعة الانفصالية في برقة وحاولت –بالتعاون مع الأمير محمد إدريس السنوسي- إقامة حكم ذاتي فيها يخضع لسلطتها ونفوذها وهو ما أثار حفيظة السوفييت الذين اعتبروه تقويضا لمسار عمل الأمم المتحدة.[15]

لم تطرح بريطانيا والولايات المتحدة مصير أي من المناطق التي سيطر عليها الاتحاد السوفييتي لكنها في المقابل واجهت الأطماع السوفييتية في ليبيا بشراسة باعتبار الخطر الاستراتيجي الذي يشكله الوجود السوفييتي هناك على المصالح الغربية، وبنيل ليبيا استقلالها في 1951 أصبحت خارج نطاق التأثير السوفييتي، ودخلت في فلك كل من بريطانيا والولايات المتحدة حيث حصلت الأولى على قاعدة في طبرق والأخيرة على قاعدة في طرابلس.

العلاقات السوفييتية الليبية في حقبة القذافي

شهدت حقبة الخمسينيات والستينيات 1951-1969 تناميا للنفوذ الغربي في ليبيا، وظلت علاقات الاتحاد السوفييتي بالبلاد محدودة فلم تشهد نشاطا دبلوماسيا أو أي شراكة سياسية أو اقتصادية فعلية، وتطورت بشكل محدود ابتداءً من عام 1955 حيث اقتصرت على منح الطلبة الليبيين منحًا دراسيةً في الجامعات السوفييتية ودعوة أعضاء البرلمان الليبي لموسكو مرتين في عام 1961 و1968 وتوقيع اتفاقية تجارية في عام 1961[16]، إلا أن انقلاب القذافي في عام 1969 فتح المجال لتعزيز العلاقات، فقد كان

[12] Carol Anderson, Bourgeois Radicals the NAACP and the struggle for colonial liberation 1941-1960, Cambridge University, 2015, p 157.

[13] المصدر السابق، ص161.

[14] Sasika Van Genugten, Libya in western foreign policies 1911-2011, palgrave macmillan, 2016, p:52

[15] سامي حكيم ، استقلال ليبيا بين جامعة الدول العربية والأمم المتحدة، دار الكتاب الجديد،ط. 1965، ص 100.

[16] Jumah F. Dakheel, The impact of the collapse of the soviet union on Libya foreign policy, Notingham Trent university, 2014, p:141.

للسوفييت علاقات قوية بالنظم العسكرية "الاشتراكية" في كل من العراق وسوريا، ومصر المجاورة، ورغم أن السوفييت كانوا يواجهون عقبات اقتصادية آنذاك إلا أنهم قدموا دعما سخيا لهذه النظم على الصعيدين الاقتصادي والعسكري فمنحوا مصر قروضا ومساعدات تجاوزت 1.2 مليار دولار[17] كما دعموا نظام البعث في سوريا بـ300 مليون دولار بعد توقيع اتفاقية التعاون الاقتصادي في 1957، وتنازلوا لاحقا عن جزء من الديون، كما قدموا مساعدات غذائية ونفذوا عدة مشاريع بنية تحتية في كلتيهما أهمها إنشاء السد العالي في مصر وسد الفرات في سوريا وعددٍ من المنشآت الصناعية، بالإضافة لتزويد هذه الدول بالسلاح بأسعار مغرية بـ 40% من ثمنه وبشروط تسديد ميسرة[18] ويقدر أنها كانت بربع قيمة السلاح الأمريكي آنذاك، حيث كان التنافس مع الولايات المتحدة على التأثير والنفوذ في المنطقة محتدما، وقد رأى السوفييت في الدعم الأمريكي لإسرائيل مدخلا مهما لكسب تأثير في المنطقة العربية ولتعبئة ترسانة الأنظمة العربية العسكرية بالسلاح السوفييتي، وبالتالي اعتبارها قواعد متقدمة لهم، تساهم في وضع يدها على أهم ملفات المنطقة (الصراع العربي-الإسرائيلي)، وقد قدم السوفييت دعما عسكريا لمصر وسوريا في حربي 1967 و 1973 رغم اعتراضهم على مهاجمة إسرائيل ودفاعهم عن حقها في الوجود كدولة مستقلة، وقد استطاع السوفييت موازنة مقاربتهم السياسية لقضية النزاع العربي-الإسرائيلي عبر التحكم في نوع التسليح المقدم للأنظمة العربية.

دار تركيز الدبلوماسية السوفيتية على ثلاث دول في الشمال الأفريقي وهي مصر والجزائر وليبيا، وكانت مصر أهمها للاتحاد السوفييتي وقد تلقت أكبر قدر من المساعدات العسكرية والاقتصادية منذ بداية الخمسينيات وحتى بداية السبعينيات قبل أن تتدهور العلاقات بعد صعود أنور السادات للحكم، وقد شكلت حادثة طرد الخبراء والمستشارين العسكريين السوفييت في عام 1972 نقطة تحول في تاريخ العلاقات بين البلدين قبل أن ينقض السادات معاهدة "التعاون والصداقة" في عام 1976 ويلغي جميع الصفقات العسكرية مع السوفييت في عام 1977.

ومع خروج مصر السادات من فلك الاتحاد السوفييتي، دخلت العلاقات مع ليبيا مرحلة مهمة فاتجهت ليبيا بعيدا عن الغرب ووجهت مواردها وصداقتها تجاه السوفييت وشهدت فترة السبعينيات نموا مطردا في التعاون بين البلدين في عدة ملفات، كان أبرزها النفط والسلاح، حيث تم توقيع اتفاق تعاون في قطاع

[17] -CIA historical review program release as sanitized 1999, Doc 0000484000, facts and soviet economic aid to Egypt.

[18] CIA historical review program release as sanitized 1999, Doc 0000496350, Soviet military aid to the united Arab republic 1955-66.

النفط في عام 1971 والذي أرسلت موسكو بمقتضاه فنيين وتقنيين لتطوير القطاع وتشغيله، وقد كان النفط الليبي من الأهمية بمكان بالنسبة للاتحاد السوفييتي حيث تم استخدامه لتغطية احتياج جمهوريات الاتحاد السوفييتي للنفط، كما تم استخدام النفط لاحقا لتسديد الديون وثمن البضائع والخدمات التي اشترتها ليبيا، وعلى مستوى التسليح فقد زود الاتحاد السوفييتي ليبيا بكميات ضخمة من الأسلحة تفوق احتياجها حيث وقع عبد السلام جلود -ذراع القذافي اليمنى- لدى زيارته لموسكو في 1974 صفقة تسليح ب1.2 مليار دولار[19]، كما بلغت صادرات السلاح من جمهوريات أوروبا الشرقية خلال 1970-1983 أكثر من 1.8 مليار دولار[20]، في حين ألغت بريطانيا صفقة كانت قد وقعتها مع الملك محمد إدريس السنوسي تجاوزت قيمتها 500 مليون دولار، كما ألغت الولايات المتحدة صفقة تسليح بـ70 مليون دولار دفعت ليبيا قيمتها بالعملة الصعبة مقدما[21].

شهدت العلاقات تحسنا في منتصف السبعينيات حيث تم الاتفاق على مشروع مفاعل نووي صغير، زار القذافي بعدها موسكو في 1976 واتفق على صفقة تسليح أخرى، ثم تبعتها صفقة ثالثة في عام 1980.

ورغم أن التعاون الاقتصادي والعسكري بين البلدين شهد فترة ذهبية من 1972-1985 إلا أن القذافي ومدير علاقاته مع موسكو رئيس الوزراء "عبد السلام جلود" لم يرتقيا لمستوى أهمية العلاقات واتسمت سلوكياتهما تجاه الكثير من الملفات بالسذاجة والرعونة، كما أن القذافي هاجم الاتحاد السوفييتي أكثر من مرة واصفا إياه "بالإمبريالية الجديدة"، لكن الحفاظ على العلاقة مع ليبيا كان مهما للسوفييت بعد أن فقدوا مصر، فالاتحاد السوفييتي كان يخوض تنافسا محموما مع الولايات المتحدة على النفوذ في المنطقة، كما أن ليبيا لم تكن مهمة على المستوى الجيوسياسي فقط وإنما على المستوى الاقتصادي أيضا، فليبيا كانت إحدى الدول التي اعتمد عليها الاتحاد السوفييتي في تعويض نفقاته ودعمه الموجه لدول الشرق الأوسط وقد كان القذافي "يدفع كاش" حسب تعبير السادات[22]، وبالتالي تغاضى السوفييت عن كثير من المواقف المسيئة لهم والمضرة بسياساتهم في المنطقة.

وعلى عكس الشائع فإن العلاقات السوفييتية الليبية لم ترتقِ لتحالف أو شراكة استراتيجية واقتصرت على تعاون محدود وشكلت مبيعات السلاح والنفط الجانب الأهم في هذه العلاقة باعتبار احتياج الطرفين،

---

[19] Jumah F. Dakheel, The impact of the collapse of the soviet union on Libya foreign policy, Notingham Trent university, 2014,p 158 .

[20] Doc RDP85T00283R000300040008-3, Soviet and east European Military Transfers To Non Communist LDCs.

[21] Jumah F. Dakheel, The impact of the collapse of the soviet union on Libya foreign policy, Notingham Trent university, 2014,p145 .

[22] خطاب السادات بمجلس الشعب 14-مارس-1976.

يعود السبب في عدم تطوير العلاقات بالدرجة الأولى لشخصية القذافي وسياساته المضطربة وقد عبر عن هذا وزير الدفاع السوفييتي "اندريه جريشكو" بوصفه للقذافي بـ" رجل مجنون يجلس على جبل من ذهب "[23]، لكن هذا لم يمنع الطرفين من الاستفادة من الظرف الراهن آنذاك، إذ استفاد القذافي من إمدادات السلاح التي احتاجها لفرض نفسه بين الأنظمة المحيطة ومناكفة الولايات المتحدة والغرب، في حين استفاد السوفييت من عائدات الصفقات وإمدادات النفط الذي استخدمها القذافي لتسديد ثمن صفقات التسليح[24] وقد بلغ حجم مشتريات السلاح من 1974-1986 ما يقارب 15 مليار دولار تقريبا، وبلغ إجمالي قيمة الاتفاقيات بين الدولتين 23.5 مليار سدد القذافي منها 18 مليار

دولار.[25]

التقييم الأمريكي للعلاقات السوفييتية الليبية:

راقبت الولايات المتحدة التحركات السوفييتية في ليبيا عن كثب إلا أنها لم تمثل قلقا كبيرا لها، وقد أبدى جهاز المخابرات الأمريكية المركزية (CIA) ملاحظاته حول طبيعة العلاقة في مذكرة رفعت عنها وزارة الخارجية الأمريكية السرية في عام 2003، وخلص للآتي:

1) أن السوفييت مدفوعون برغبتهم في تحقيق مكاسب اقتصادية بشكل كبير، مع الأخذ في الاعتبار العامل السياسي الذي يعد محركا لسياساتهم بالدرجة الأولى، خصوصا بعد فقدانهم لمصر كحليف.

2) التوجه السوفييتي نحو ليبيا يأتي ضمن هدف أكبر وهو تعزيز حضورهم في البحر المتوسط والشرق الأوسط، ورغم أهمية موقع ليبيا الواقعة جنوب المتوسط للأسطول البحري السوفييتي إلا أنه من المستبعد أن يقوم السوفييت بتأسيس وجود بحري هناك لعدة أسباب منها عدم التوافق مع القذافي.

---

[23] Doc RDP79B01737A002100190001-8, Libyan Soviet relations.

[24] Jumah F. Dakheel, The impact of the collapse of the soviet union on Libya foreign policy, Notingham Trent university, 2014,p: 142.

[25] لقاء مع السفير السوفييتي الأسبق إلى ليبيا "بوغوس أكوبوف" هكذا تحدث القذافي .. أسرار أصعب مهمة لعميد الدبلوماسيين السوفيين، رحلة في الذاكرة، روسيا اليوم، 27-يناير-2016.

3) موسكو غير متخوفة من استخدام القذافي السلاح ضد إسرائيل لأن موسكو وحدها تملك الوسائل لذلك، حيث تتحكم في نوعية السلاح، قطع الغيار، الذخائر ونوع التدريب الذي يتلقاه الليبيون.

4) علاقة القذافي بالسوفييت نفعية وليست أيدولوجية.

5) تدرك موسكو جيدا أن مصر هي الدولة الأكثر تأثيرا في العالم العربي، وحتى لو كانت موسكو متأكدة من قدرتها على تأسيس تواجد قوي في ليبيا، لكنها ستنظر لها على أنها بديلٌ للخيار الأول: مصر.

6) العلاقة بين موسكو وطرابلس قائمة على المصلحة وليس على الرؤى المشتركة تجاه قضايا المنطقة، والتصادم بين الاثنين حول تسويات الشرق الأوسط وكيفية مقاربة النزاع العربي الإسرائيلي قد يفسد العلاقات في أي لحظة.[26]

كانت القراءة الأمريكية لطبيعة العلاقات وتوقعاتها لمستقبلها دقيقة، فقد تذبذبت علاقات السوفييت بالقذافي حيث شهدت فترات جيدة وأخرى سيئة، لكنها ساءت بصفة عامة تدريجيا، ومع صعود جورباتشوف للسلطة وتغيير الاتحاد السوفييتي لسياسته الخارجية تجاه بعض الدول الواقعة تحت الضغط الغربي (ليبيا وسوريا) تدهورت العلاقات وبلغ انعدام الثقة بين الطرفين ذروته بعد القصف الأمريكي على ليبيا في عام 1986 حين أبدى الاتحاد السوفييتي موقفا فاترا منها ولم يمد يد العون للقذافي، فالاتحاد السوفييتي برئاسة جورباتشوف كان يعمل على خفض التوتر مع الولايات المتحدة وكان مقبلا على توقيع اتفاقيات مهمة مع واشنطن للحد من التسلح، كما كان يرى ضرورة العمل عبر الدبلوماسية والمبادرات السياسية لزيادة تأثيره في المنطقة وهو ما كان يتناقض مع سياسات القذافي العدوانية ومغامراته العشوائية التي كسبت عداء الجميع وعزلته عن محيطه مما أثر سلبا على الدبلوماسية السوفييتية في المنطقة، وبالتالي عمل السوفييت على الحفاظ على مسافة آمنة من سياسات القذافي -عبر إيقاف اتفاقية الصداقة والتعاون[27]- مع الإبقاء على التعاون في إطار يخدم المصالح السوفيتية، وقبيل سقوط الاتحاد السوفييتي عام 1991 وجه القذافي طلبا لموسكو بزيارتها فكان الرد من موسكو أنه يمكن للقذافي القدوم بعد تسديد 4 مليار دولار من الديون المستحقة، مما أثار غضب القذافي وسخطه، وقد صرح القذافي

---

[26] Doc RDP79B01737A002100190001-8, Libyan Soviet relations.

[27] Jumah F. Dakheel, The impact of the collapse of the soviet union on Libya foreign policy, Notingham Trent university, 2014,p:142

للسفير السوفييتي الأخير لطرابلس قبيل إنهاء مهمته في عام 1991 "لقد تغيرت سياساتكم تجاه العرب، لقد خاننا جورباتشوف".[28]

أثر سقوط الاتحاد السوفييتي على العلاقات مع ليبيا

عقب انهيار الاتحاد السوفييتي سنة 1991 وبداية حقبة نظام القطب الواحد، شهدت العلاقات الليبية-الروسية تراجعا حادا لعدة أسباب أهمها، انشغال موسكو بالتحول السياسي الذي سبب فوضى داخلية كبيرة أضرت باقتصادها وأمنها الداخلي بشكل كبير، حيث انخفض إجمالي الناتج المحلي ب40% وتقلص الإنتاج الصناعي ب50% والإنتاج الزراعي ب35% ، وبلغ عدد المواطنين الذي لا تصل دخولهم للحد الأدنى من الدخل -70 دولار- 34.7 مليون مواطن، وقدر عدد الأموال المهربة من البلاد بين 1991-1997 بقرابة 100 مليار دولار تقريبا، وعانت الدولة من أزمة مالية وأمنية حادة ومن الفشل في جباية الضرائب.[29]

انشغلت موسكو بضبط بيتها الداخلي وعملية إعادة تشكيل نظامها الاقتصادي والاتجاه نحو سياسات اقتصادية أكثر ليبرالية لجذب الاستثمار الأجنبي، وعلى الصعيد السياسي تبنى الرئيس "بوريس يلتسن 1991-1999" سياسات منفتحة تجاه أوروبا والولايات المتحدة وطرح فكرة الاندماج الروسي-الأوروبي، وبالتالي فإن علاقة موسكو بنظام القذافي كانت أقرب للعبء في تلك الفترة، فأوقفت موسكو مبيعات السلاح والمعدات لطرابلس وسحبت خبراءها وفنييها العسكريين الذين بلغ عددهم 1400 عسكري، واتسمت العلاقة بالاستغلال والانتهازية، حتى أن اعتراض موسكو على العقوبات المفروضة على ليبيا في عام 1993 كان من منطلق براجماتي محض، حيث هددت باستخدامها لحق النقض ما لم تعطها الولايات المتحدة قرضا بدون فوائد يغطي ديون موسكو[30]

مع انتهاء الحرب الباردة وانشغال موسكو بتراجعها الاقتصادي وإعادة تشكيل نظامها السياسي وتبنيها لسياسة خارجية مختلفة، التفت الغرب والولايات المتحدة للقذافي فأصدر مجلس الأمن في يناير 1992 القرار رقم 731 الذي يجرم نظام القذافي في حادثة إسقاط "103 Pan Am" المعروفة بحادثة لوكيربي، وطالبه أيضا بالخضوع للمطالب الأمريكية والبريطانية والمطالب الفرنسية المتعلقة بحادثة إسقاط الطائرة الفرنسية "UTA 722" عام 1989 فوق أراضي النيجر، وبعد ثلاثة أشهر أصدر مجلس الأمن قرار رقم 748

[28] هكذا تحدث القذافي .. أسرار أصعب مهمة لعميد الدبلوماسيين السوفيين، رحلة في الذاكرة، روسيا اليوم، 27 يناير 2016.

[29] د. فكتور ليبيديف، الأوضاع السياسية والاقتصادية في روسيا الاتحادية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 1999 ص4.

[30] سعد حقي، علاقات العرب الدولية في مطلع القرن ال21، دار وائل للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2003، ص 94

الذي فرض على ليبيا أول عقوبة دولية، وضُيِّقَ الخناق على النظام الليبي مجددا بإصدار قرار عقوبات جديد في 1993 برقم 883 الذي اقتضى تجميد أموال وأرصدة ليبيا في الخارج وفرض حظر على الخطوط الجوية الليبية وغيرها من العقوبات[31]

حددت هذه الظروف والمتغيرات الدولية شكل العلاقة بين البلدين، وانصب تركيز كل منهما على أزماته الداخلية والخارجية وكيفية التعامل مع الواقع الدولي الجديد، ولم تشهد العلاقات الروسية الليبية تحسنا ملحوظا إلا مع بداية الألفية الجديدة التي تزامنت مع تغيرات سياسية واقتصادية في البلدين، فمن جهة روسيا شهد الاقتصاد الروسي تعافيا ملحوظا اقترن بصعود "فلاديمير بوتن" الطموح للحكم، ومن جهة ليبيا أبدى القذافي تغيرا جذريا في سلوكه تجاه الولايات المتحدة والغرب عقب غزو أفغانستان والعراق، حيث سلم برنامج أسلحة الدمار الشامل وقدم تنازلات سياسية كبيرة فدفع تعويضات عن حادثة تفجير مقهى برلين وحادثة قتل الشرطية البريطانية وحادثتي اللوكربي وتفجير الطائرة الفرنسية وسلم المتهمين بهما، كما تعاون مع المخابرات البريطانية والأمريكية في عدة ملفات أهمها مكافحة الإرهاب وقدم معلومات عن تعاونه السابق مع عدة جهات مصنفة دوليا كالجيش الجمهوري الأيرلندي[32]، كما شهدت تلك الفترة انفتاحا ماليا على الغرب فضُخت الأموال الليبية على شكل استثمارات وتسويات مالية ودعم لحملات انتخابية[33]، وقد أدت هذه التنازلات إلى رفع العقوبات عن ليبيا في عام 2003.

عودة روسيا الاتحادية وثورة 17 فبراير

عادت العلاقات الروسية الليبية في مطلع الألفية الجديدة ضمن سياسة روسية أشمل تبحث عن إعادة مكانة موسكو العالمية وتوسيع آفاق اقتصادها المتعافي، وقد حظيت أفريقيا ككل باهتمام متزايد من موسكو على مر العشرين عاما الماضية بعد أن شهدت ثمانينات وتسعينيات القرن المنصرم ابتعادا عنها حيث وصف جورباتشوف انخراط الاتحاد السوفييتي هناك بأنه "إهدار للموارد" [34]، وقد سار رئيس روسيا الاتحادية الأول "بوريس يلتسن" على نفس الخطى خلال التسعينيات، وبالتالي فإن الانخراط الروسي في

---

[31] RESOLUTION 883 (1993, Adopted by the Security Council at its 3312th meeting, on 11 November 1993, Doc S/RES/883(1993)

[32] The 38-year connection between Irish republicans and Gaddafi, BBC, 23-FEB-2011

[33] Former French President Sarkozy charged over Libyan financing, Aljazeera, 16-oct-2020

[34] Elizabeth Sidiropoulos and Chris Alden, Inside the Russia-Africa matryoshka, South African Institute of International Affairs, 2019, p: 7.

القارة يعتبر توجها حديثا مدفوعا برغبة اقتصادية وطموح القيادة الروسية في زيادة تأثيرها خارج مناطقها التاريخية في آسيا وشرق أوروبا.

مقاربة موسكو لمناطق القارة المختلفة ليست واحدة، فالانخراط في الشمال الأفريقي مدفوع بطموحات روسيا الجيوسياسية التاريخية بالدرجة الأولى (الوصول للبحر المتوسط، تحجيم أوروبا والناتو، والسيطرة على طرق الغاز والتجارة في المتوسط)، بينما تنطلق موسكو في تفاعلها مع مناطق القارة الجنوبية من منطلقات اقتصادية بالدرجة الأولى ومن توجهات وزارة الموارد الطبيعية[35] التي تعتبر القارة منطقة مهمة للاقتصاد الروسي على المدى البعيد حيث يُنظر لها على أنها ستصبح بديلا مهما للطاقة في الشرق الأوسط، لذا تسعى روسيا لتعزيز حضورها والهيمنة على الموارد الطبيعية ومصادر الطاقة، وضخ الاستثمارات، وفتح أسواق القارة لمنتجاتها، كما تسعى لتعزيز الروابط الثقافية عبر برامج تبادل الطلبة وإنشاء روابط مع خريجي الجامعات الروسية وإحياء المراكز الثقافية المغلقة منذ التسعينيات.

جاءت أول زيارة روسية على مستوى رفيع إلى ليبيا في 2008 عقب زيارة بوتن الأولى لأفريقيا في عام 2006 ، حيث زار ليبيا الرئيس فلاديمير بوتن لإعادة تنشيط العلاقات، وكما أشرنا فقد كان الاتجاه الروسي نحو القارة السمراء مدفوعا بالرغبة في الدفع بعجلة الاقتصاد وفتح أسواق جديدة واستعادة الدور العالمي، وبالتالي تركزت الزيارة على بحث العلاقات الاقتصادية والتجارية، وقد تزامنت زيارة بوتن الأولى للقارة في عام 2006 مع تسديد روسيا لكامل ديونها للبنك الدولي، وبحلول عام 2007 تنازلت روسيا عن ما يقارب 20 مليار دولار كديون مستحقة تراكمت على الدول الأفريقية خلال فترة الحرب الباردة[36] منها 4.5 مليار دولار ديون على ليبيا[37]، وعقدت روسيا مقابل هذا التنازل عقودا بعشرات المليارات، وبلغت قيمة الصفقات الموقعة مع ليبيا وحدها 10 مليار دولار تقريبا، شملت قطاع السلاح والنفط والإنشاء والبنية التحتية ، من أبرزها مشروع السكك الحديدية الذي يقدر بحوالي 3 مليار دولار تقريبا، كما تم بحث توقيع عقود تسليح تقدر بحوالي 2 مليار دولار[38]، أتبع القذافي زيارة بوتن لطرابلس بزيارته لموسكو في نفس العام بعد صعود ديمتري ميدفيديف للحكم، ومن أهمّ ما أسفرت عنه زيارة القذافي لموسكو، عقد صفقات في قطاع الصناعة بقيمة ملياري دولار، وبحث مشاركة شركة "غازبروم" -المملوكة للدولة- إقامة خط أنابيب جديد لنقل الغاز

[35] المصدر السابق، ص 7.

[36] المصدر السابق، ص.8

[37] - Frederica Saini Fasanotti, Russia and Libya : A brief history of an on-again-of-again friendship, Brookings Institute, sep-2016.

[38] -Alexei Anishchuk, Gaddafi fall cost Russia tens of bins in arms deals, Reuters, 2/11/2011.

الليبي إلى أوروبا، وناقش الطرفان مشروعًا لإنشاء مصنع للنفط في مصر ومشروعا آخر لزراعة القمح في أوكرانيا، وتُوِّجت زيارة القذافي لموسكو بصفقة عسكرية لشراء 12 طائرة طراز ميغ 29 و 12 أخرى من طراز سوخوي 30 ودبّابات من طراز تي 90، بقيمة 1.5 مليار دولار[39]، وهي من أكبر الصفقات التي عقدتها ليبيا.

عقب انتعاش العلاقات الروسية الليبية اندلعت الثورة الليبية في فبراير 2011 ، الأمر الذي حال دون استفادة روسيا من استثمارها في تلك العلاقات، وجاء موقف روسيا من قرار مجلس الأمن 1973 مفاجئًا للجميع حيث امتنعت روسيا عن التصويت ضد القرار الذي أتاح للناتو التدخل لحماية المدنيين والذي تطور لاحقًا لتدخل يهدف لإسقاط النظام، ويمكن أن يعزى سبب اتخاذ موسكو لموقفها هذا لعدة أسباب، منها وجود ديمتري ميدفيديف على سدة الحكم فقد صرح بعد امتناع روسيا عن التصويت أن القذافي فقد الشرعية ويجب أن يتنحى عن الحكم، وكان ميدفيديف يتبنى رؤية مغايرة لتلك التي يتبناها رئيس وزرائه والرئيس السابق واللاحق لروسيا فلاديمير بوتين، وقد ظهر الخلاف بينهما على السطح بعد أن صرح الأخير –معترضا على قرار تدخل الناتو- بأن هذا القرار يذكره "بالحملات الصليبية بالعصور الوسطى"، الأمر الذي رفضه ميدفيديف قائلا: "هل استخدام مثل هذه الألفاظ مناسب في مثل هذه الظروف التي قد تؤول إلى صدام بين الحضارات"[40]، كما يمكن تفسيره بأن موسكو رأت أن القذافي قضية خاسرة، فأرادت أن تستثمر في امتناعها عن التصويت بتوطيد العلاقات مع الأطراف الداعمة للتدخل، كالولايات المتحدة ودول الخليج وفرنسا التي كانت في مقدمة الدول الداعية لإسقاط النظام، فالعلاقات بين فرنسا وروسيا شهدت تحسنا كبيرا في عام 2011 حيث أعطت روسيا فرنسا حصصا في خط الغاز الروسي، وعقدت معها صفقة شراء حاملتي طائرات ميسترال وهي أكبر صفقة عسكرية - ألغيت لاحقا- يقوم بها عضو من حلف شمال الأطلسي مع روسيا[41].

على الصعيد الداخلي في ليبيا لم يكن امتناع موسكو عن التصويت كافيا لكسب الرأي العام أو صداقة الثوار، وبتدخل الناتو وسقوط القذافي أزيحت روسيا عن المشهد الليبي تماما، وخسرت بذلك صفقات التسليح وأخرى في ملف الطاقة والبنية التحتية تقدر بـ10 مليار دولار تقريبا، ولم تقتصر خسائر روسيا على البعد الاقتصادي فقط وإنما شكل إبعادها عن ليبيا خسارة جيوسياسية أيضا، وهو ما تسعى موسكو لتعويضه اليوم.

---

[39]- القذافي يعيد خلط الأوراق ويتقارب مع الروس، Swissinfo.ch الوحدة الدولية لهيئة الإذاعة والتلفزيون السويسرية، 1ديسمبر 2008.

[40] Medvedev rejects Putin crusade remark over Libya, BBC, 21/3/2011.

[41] Pierre Tran, Mistral Dispute With Russia Settled, France Eyes Exports, Defense News, 9/8/2015.

ليبيا من منظور جيوسياسي

المكانة الجيوسياسية لليبيا من منظور القوى الكبرى

تحتل ليبيا موقعًا جغرافيًّا مهما فهي تتوسط 6 دول أفريقية تقع في صميم المصالح الجيوسياسية لأوروبا والولايات المتحدة وهي (مصر، السودان، الجزائر، تشاد، النيجر، تونس)، كما تقع في قلب حوض البحر المتوسط والمغرب العربي، وبهذا فهي تربط أوروبا بأفريقيا وشرق القارة بغربها عبر ساحلها الممتد 1800 كم تقريبا، كما تقع في مركز طرق التجارة عبر الصحراء، وبهذا فهي تعد بوابة أوروبا لعمق القارة السمراء.

ورغم أهمية الموقع الجغرافي للبلاد إلا أنها أُعتبرت دولة طرفية على الخارطة السياسية للقوى الكبرى حتى منتصف القرن العشرين، حيث ركزت بريطانيا اهتمامها على الشرق الأوسط والهيمنة على الممرات المائية والمناطق المشرفة عليها (خليج عدن، قناة السويس، مالطا، قبرص، جبل طارق، رأس الرجاء الصالح) على طول امتداد إمبراطوريتها من مستعمراتها الهندية للموطن الأم، بينما اتجهت فرنسا للسواحل المقابلة (الجزائر، تونس) لها والعمق الأفريقي المتصل بها (النيجر، مالي، تشاد)، واعتبرت ليبيا كحاجز صحراوي طبيعي يفصل بين نفوذ الإمبراطوريتين.

لم تظل ليبيا على هامش الأحداث الدولية طويلا ففي 1911 غزت إيطاليا البلاد كمحاولة منها لفرض نفسها على الساحة الدولية كقوة استعمارية، وكان الغزو الإيطالي لطرابلس وبرقة مدفوعا بعدة عوامل لم تكن الجغرافيا الليبية على رأسها، فتونس التي كان يوجد بها 10 آلاف إيطالي آنذاك والأقرب لصقلية كانت الوجهة الإيطالية الأولى، إلا أن فرنسا سبقتها إليها في 1881، مما أثار توترا في العلاقات بين البلدين، فقامت فرنسا التي ترغب في إبعاد إيطاليا عن التحالف الألماني-العثماني-النمساوي، بدفعها للتوجه نحو طرابلس إذ لم تكن ذات أهمية جيوسياسية لفرنسا، وفي حوار دار بين وزير الخارجية الفرنسي والسفير الإيطالي صرح الأول : لماذا تصرون على تونس، حيث يمكن أن يحدث صدام بيننا يفسد علاقاتنا الجيدة، لماذا لا توجهون أنظاركم لطرابلس حيث لن تضطروا لمقاتلتنا أو لمقاتلة غيرنا"[42].

وفي الحرب العالمية الثانية استخدمت ليبيا كساحة صراع دولي بين إيطاليا وألمانيا من جهة وبريطانيا من جهة أخرى، وبعد انتهاء الحرب أصبحت ساحة تمددت فيها بريطانيا بعد طرد الفيلق الألماني الأفريقي والجيش الإيطالي العاشر من برقة وطرابلس، كما عززت فرنسا حضورها في إقليم فزان الذي يربط بين

[42] Sasika Van Genugten, Libya in western foreign policies 1911-2011, palgrave macmillan, 2016, p:12

مستعمراتها في النيجر وتشاد والجزائر ويوفر لها معبرا تجاريا مركزيا، وفي ظل تمدد مصالح القوى الغربية في الشمال الأفريقي، أراد السوفييت اقتطاع طرابلس ليضعوا قدما في البحر المتوسط بالتمركز على ضفافه الجنوبية قبالة السواحل الأوروبية، حيث تبعد طرابلس عن أقرب نقطتين في أوروبا (مالطا نحو 330 كم ، إيطاليا 450 كم)، الأمر الذي جوبه برفض قاطع وحزم شديد من القوى الأوروبية برعاية الولايات المتحدة كما أشرنا سابقا.

ويتضح مما سبق أن الأهمية الجيوسياسية لليبيا مرت بمراحل:

الأولى : قبل الحرب العالمية الثانية حيث كانت ليبيا ساحة هامشية من المنظور الجيوسياسي للقوى الكبرى، وكان هذا سببًا من أسباب إهمال الدولة العثمانية لها وتركها لحكم الانكشاريين ثم الأسرة القرمانلية[43] لأكثر من قرنين من الزمن، ولم تولّها الدولة العثمانية اهتماما فعليا إلا بعد ضعفها وشعورها بالتهديد من القوى الكبرى، ودخول إيطاليا للساحة السياسية الدولية، فاستخدمت ليبيا كساحة مواجهة وملف مساومة.

الثانية : أثناء الحرب العالمية الثانية حيث استخدمت كساحة صراع بين ألمانيا وإيطاليا من جهة وبريطانيا من جهة أخرى، وبرزت أهميتها في انطلاق رومل منها لمهاجمة السويس وأهميتها لبريطانيا في معركة مونت كاسينو[44]، ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية ومطالبة السوفييت بحصة من المستعمرات الإيطالية السابقة -طرابلس- اكتسبت أهمية أمنية عند الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، فكانت أهميتها نابعة من خطورة الوجود السوفييتي فيها، بالإضافة لرؤية بريطانية لبرقة كجزء من نفوذها في مصر وفرنسا التي كانت ترى فزان كعمق جغرافي أمني لمستعمراتها.

الثالثة : مع ظهور اكتشافات النفط اكتسبت ليبيا أهمية اقتصادية للدول الصناعية الأوروبية والقوى الكبرى، ليس على المدى القريب فقط ولكن على البعيد أيضا فالبلاد تحوي 2.9% من احتياطيات العالم من النفط، ويتميز النفط الليبي بجودته العالية وبتكلفة استخراجه الرخيصة نسبيا، كما تملك البلاد أكثر

---

[43] الأسرة القرمانلية هي أسرة ذات أصول أناضولية من إقليم قرمان، جدهم الأكبر هو مصطفى القرمانلي قدم إلى طرابلس وتزوج منها، مؤسس حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا هو أحمد القرمانلي حفيد مصطفى القرمانلي، وهو ضابط بالجيش العثماني تولى قيادة منطقة المنشية، وقد قام أحمد القرمانلي بقيادة ثورة على الوالي العثماني في طرابلس في 1711م ليؤسس حكما لأسرته دام حتى 1836 .ويمكن مراجعة كتاب رودولفو ميكاكي "طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي" ترجمة طه فوزي- القاهرة معهد الدراسات العربية العالية ط. 1961

[44] معركة مونت كاسينو هي أحد أشهر وأعنف معارك الحرب العالمية الثانية بين قوات المحور والحلفاء على الأراضي الإيطالية، وقد ساهمت سيطرة قوات الحلفاء على طرابلس في تسهيل السيطرة على جزيرة صقلية التي كانت محطة مهمة في معركة مونت كاسينو، يمكن الرجوع لكتاب Monte Cassino : The story of the hardest fought battle of world war two"

من 1.5 ترليون متر مكعب من احتياطيات الغاز، ومراكز التصدير فيها لا تبعد عن أوروبا أكثر من 650 كم تقريبا.

الرابعة: مع بداية الألفية الجديدة وظهور مفهوم "أمن الطاقة" والصراع بين روسيا وأوروبا حول تأمين إمدادات النفط والغاز وتولية الولايات المتحدة اهتماما كبيرا لهذا الملف، أضيف البعد الأمني للأهمية الاقتصادية.

الخامسة: بعد الثورة تحولت البلاد لساحة نفوذ للقوى الإقليمية الطامحة للتمدد والطامعة في استغلال الموقع الجغرافي والثروات الكامنة بها، فليبيا تطل على البحر المتوسط الذي تتحرك عبره 25% من حركة التجارة البحرية و18% من تجارة النفط والغاز[45] ، بساحل يقارب 1800كم وهي أرض خصبة للاستثمار والتمدد وبسط النفوذ، حيث لا تقع في مجال نفوذ أي من القوى الكبرى، ومع دخول روسيا وتركيا على خط "الحرب الأهلية" اكتسبت ليبيا أهمية على ساحة الصراعات الدولية لتصبح حلقة في سلسلة من الصراعات الإقليمية والدولية.

من منظور جغرافي واقتصادي فإن ليبيا تعد موقعا استراتيجيا هاما، فهي في قلب حوض البحر الأبيض المتوسط، والمغرب العربي، وهي بوابة لأفريقيا وجنوب الصحراء الكبرى، كما أن احتياطياتها الكامنة من النفط والغاز مهمة استراتيجيا لأي قوى تتمكن من تأسيس نفوذ فيها، كما تقع في مركز طرق التجارة عبر الصحراء وتربط المسارات التجارية لمنطقة الساحل والصحراء للوصول إلى البحر الأبيض المتوسط وهي بهذا تعتبر معبر للطرق الصحراوية والبرية والبحرية في جميع الاتجاهات، ورغم أهمية موقعها إلا أن العامل السياسي والأيديولوجي لعبا دورا في عزوف القوى الكبرى عنها وجعل أهميتها نسبية، وعند اعتبار عامل محدودية القدرات في معادلة التاريخ والسياسة سنجد أن هذه العوامل لعبت دورا كبيرا في تشكيل المواقف والرؤى، ففي القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين لم تكن لبريطانيا القدرة على تولية هذا الموقع أهمية تفوق تلك التي توليها لمصر والبحر الأحمر والحجاز ورأس الرجاء الصالح وخليج عدن التي تربطها بمستعمراتها الهندية، ولم تكن فرنسا لتوليها أهمية تتجاوز أهمية السواحل المقابلة لها كتونس والجزائر المؤدية لغرب أفريقيا وخليج غينيا، ولذلك اعتبرت ليبيا الحد الفاصل بين نفوذ هذه الإمبراطوريات، ولم يستطع الاتحاد السوفييتي وقبله روسيا القيصرية تجاوز ملفات القوقاز وشرق أوروبا ودول بحر قزوين

[45] Jérémie Fosse, Heloïse Lammens, Fabio Fiorucci under the supervision of Raffaele Mancini and Alessandra Sensi, Blue Economy in the Mediterranean, Union for the Mediterranean, 2017, page 39 and 40

والبحر الأسود وجنوب شرق آسيا، وأخيرا في القرن الحادي والعشرين لم تستطع الولايات المتحدة الالتفات عن مصالحها الاستراتيجية في الشرق الأوسط والأقصى ومنطقة الخليج، وهكذا فإن عوامل الأيدولوجيا والسياسة ومحدودية القدرات حددت شكل سياسة ومواقف كل هذه القوى بشكل لا يقل أهمية عن عوامل الجغرافيا والاقتصاد، ويمكن تلخيص ما سبق بالقول إن ليبيا تقع حيث تبلغ قدرات واهتمام القوى الكبرى حدودهما، لكنها اليوم تلقى اهتماما متزايدا باعتبارها ساحة صراع دولي واقليمي.

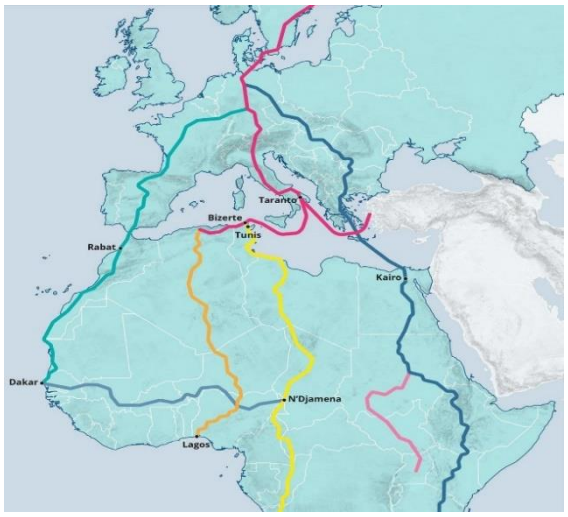

شبكة الممرات التجارية لحوض البحر المتوسط

أمن الطاقة

تقدر احتياطيات ليبيا من النفط بأكثر من 48 مليار برميل من النفط الخفيف عالي الجودة وهو ما يمثل 2.9% من الاحتياطي العالمي، ويقدر احتياطي الغاز فيها بحوالي 1.5 ترليون متر مكعب، ويمكن أن تغطي صادرات الطاقة الليبية في أحسن أحوالها 17% من احتياج أوروبا[46]، وهي توفر في فترات استقرار البلاد واستمرار الإنتاج 8% من احتياج ألمانيا، 13% من احتياج فرنسا، 16% من احتياج اسبانيا، و 22% من احتياج إيطاليا من واردات النفط [47]، وهي الدول الأكثر اعتمادا على واردات النفط من ليبيا والأكثر استثمارا في قطاع الطاقة الليبي، وتعتبر إيطاليا الشريك الأكبر لليبيا في قطاع المحروقات تليها فرنسا وألمانيا، حيث تمتلك شركات هذه الدول الحصص الأكبر في قطاع الطاقة الليبي، وعلى سبيل الذكر لا

[46] Phillip Spassov, NATO, Russia, European security: lessons learned from conflicts in Kosovo and Libya, partnership for peace consortium of defense academies and security studies institute, 2014, p: 33.

[47] Andreas cala, Europe rethinks dependence on Libyan oil, The Christian science monitor, 23-feb-2011 Julian wettengel, Germanys dependence on imported fossil fuels, clean energy wire,19-jun-2019.

الحصر فقد فازت شركة ENI الإيطالية في 2007 بعقد ضخم لاستثمار الغاز بمنطقة مليته الغنية به وهي تنقل الغاز منه إلى صقلية عبر خط جرين ستريم وتقدر حصة إيطاليا في مشاريع الغاز في غرب ليبيا (حقل الوفاء البري وحقلي بحر السلام والبوري البحريان) بـ50%[48]، ومؤخرا في 2018 اشترت ENI 42.5% من حصة شركة BP في ثلاث مناطق استكشاف برية وبحرية[49] وقد بلغ معدل إنتاج النفط للشركة في 2017 حوالي 384,000 برميل في اليوم[50]، في حين تمتلك شركة توتال الفرنسية حقوق امتياز حصرية لحقل غاز في حوض غدامس واشترت مؤخرا حصة شركة مارثون الأمريكية في حقل الواحة – أحد أهم وأكبر حقول النفط الليبية- حيث تبلغ حصتها 16.33%[51] من الحقل، وتمتلك نسبة 75% في الكتل 15, 16 و32 من حقل الجرف البحري وقدر إنتاجها في 2018 بحوالي 63,000 برميل في اليوم[52]، كما تمتلك وينترشيل الألمانية حقوق امتياز في 9 حقول نفطية برية وحقل بحري تمتلك شركة غازبروم الروسية نسبة 49% منها.[53]

يتضح من هذه الأرقام والبيانات الاحتكار الجزئي الأوروبي لقطاع المحروقات الليبي، مما يؤكد أن جزءًا من أهمية ليبيا الجيوسياسية يكمن في دورها في ملف "أمن الطاقة" الأوروبي، والذي يعتبر جزءًا من المفهوم الاستراتيجي لحلف شمال الأطلسي الذي تم إقراره في قمة لشبونة 2010، والذي ينص على دور جديد للحلف في التعامل مع قضية أمن الطاقة، حيث يقتضي المفهوم الاستراتيجي أن "يقوم حلف شمال الأطلسي بتطوير قدراته للمساهمة في الحفاظ على أمن الطاقة، بما في ذلك حماية البنية الأساسية الحيوية للطاقة ومناطق وخطوط النقل، والتعاون مع الشركاء، وإجراء مشاورات سياسية مع الحلفاء تتعلق بأمن الطاقة "[54]، ورغم أن قدرة ليبيا الإنتاجية قد تراجعت بشكل كبير، ولم تعد على رأس قائمة الدول المصدرة للنفط والغاز، إلا أنها تكتسب أهمية متزايدة في هذا الملف على خلفية تراجع الصادرات من موردين أساسيين كالنرويج والجزائر وتوقف آخرين تماما كهولندا، وتعطل مشاريع دول وسط أسيا، وارتفاع تكلفة الواردات القادمة من أمريكا الشمالية (الولايات المتحدة وكندا).

48 Michaël Tanchum, Libya, energy, and the Mediterranean's new 'Great Game', Elcano Royal Institute.

[49] Eni, Bp and NOC sign deal to resume Libyan exploration, ENI.com, 8-oct-2018.

[50] Who owns Libya's Oil, uwidata.com, 17-Jun-2020.

[51] محمود محمد، ما لا تعلمه عن ذهب ليبيا الأسود .. من يتحكم في النفط الليبي، الجزيرة، 30-ديسمبر-2019

[52] Who owns Libya's Oil, uwidata.com, 17-Jun-2020.

[53] Kassel, ESPA agreements signed with Libya's NOC, Wintershalldea, 12-dec-2019.

[54] Strategic concept of The Defense and security of the members of the North Atlantic alliance Treaty organization, 2010.

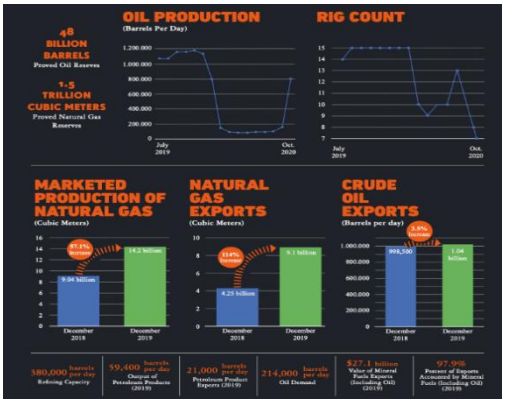

انفوجرافيك لصادرات الغاز والنفط الليبي 2018-2019

إن أهمية ليبيا الجيوسياسية في القرن 21 أصبحت تتعلق بالأمن بمفهومه الشامل والذي يشكل أمن الطاقة أحد محاوره الأساسية، فتأمين إمدادات النفط والغاز يشكل هاجسا أمنيا قويا وتدور حوله الكثير من المواقف والسياسات الخارجية والداخلية، وهنا تكمن جزء من خطورة الدور الروسي في ليبيا من منظور أوروبي\أمريكي، فأوروبا تعتمد على روسيا في استيراد ما يقارب 30% من احتياجها من النفط و 40% من احتياجها من الغاز عبر شبكة أنابيبها الممتدة من الشمال (نورد ستريم1، 2) والجنوب (ترك ستريم) وعبر أوكرانيا، وهي تبحث باستمرار عن مصادر أخرى لتنويع وارداتها منهما فالتقديرات الرسمية تشير أنه ما لم تتجه أوروبا لمصادر أخرى فإن اعتمادها على الغاز الروسي سيبلغ 70% بحلول 2050[55]، وهو ما تسعى له روسيا التي تعمل على تعديد مصادر وطرق نقل الغاز لأوروبا لتعزيز هيمنتها على ملف أمن الطاقة الأوروبي.

وبين سعي أوروبا لتنويع مصادرها وسعي روسيا لتطويق القارة العجوز تبرز أهمية دول أفريقيا والشمالية خصوصا تلك التي تمتلك احتياطيات كبيرة ومنافذ مطلة على شواطئ أوروبا الجنوبية، وفي سياق استراتيجية التطويق التي تتبعها موسكو، بحثت روسيا مع القذافي في عام 2008 مشروع إنشاء خط غاز من ليبيا إلى صقلية والاستثمار في البنية التحتية بقطاع المحروقات مقابل حصة فيه، وتوجت المحادثات بحصول غازبروم على 33% من حقل الفيل في حوض غدامس، بالإضافة لذلك سعت روسيا -ولازالت- لنيل حصة في مشروع خط الغاز المتوقفNIGAL (نيجيريا-الجزائر-أوروبا) كما طورت في 2008 شراكة ووقعت اتفاقيات تعاون مع كل من نيجيريا ودول خليج غينيا.

[55] Benjamin Augé, The Trans Saharan Gas Pipeline: an illusion or a real prospect, The institut Français des relations internationals (Ifri), 2010, page 2

وبنظرة سريعة على المنطلقات الروسية في السياسة الخارجية سنجد أن ملف الطاقة هو أحد الطرق الأساسية التي تفرض بها روسيا نفوذها، وهو ملف يطغى فيه البعدان الأمني والسياسي على البعد الاقتصادي، وفي ظل الفوضى والصراع العسكري الحاصل في ليبيا اليوم وجدت روسيا لنفسها مكانا -عبر دعم خليفة حفتر- في المنطقة الممتدة عبر حوضي سرت ومرزق اللذان يزخران بمخزونات كبيرة من النفط والغاز، حيث يضمن هذا التمركز التواجد بالقرب من أهم حقول النفط المنتجة، والتواجد وسط المخزونات النفطية والغازية التي لم تستخرج بعد، فحوض سرت وحده يوجد به 159 حقلا مكتشفا لم يدخلوا الإنتاج بعد، بينما يوجد في حوض مرزق 30 حقلا نفطيا وغازيا لم تدخل الإنتاج أيضا.[56]

رغم أهمية ملف "الطاقة" في توجيه السياسة الخارجية الروسية حيث يشكل أحد الطرق التقليدية الثلاث –السلاح، الطاقة، والبنية التحتية- المستخدمة من قبل روسيا لبسط هيمنتها، إلا أنها لا تعد محركا أساسيا للسياسة الروسية في ليبيا، إذ تنطلق روسيا في تحركاتها في ليبيا من دوافع جيوسياسية بالدرجة الأولى، فالتحركات الروسية في ليبيا شبيهة بتلك التي قامت بها في أوكرانيا في 2014 وسوريا ما قبل التدخل المباشر في 2015 من جهة الأساليب المستخدمة واستغلال ظروف الساحة السياسية الدولية، حيث استغلت اضطراب الساحة واحتياج الأطراف المحلية للدعم لتعزيز حضورها باستخدام أساليب غير تقليدية لخدمة أهدافها الاستراتيجية، مع الأخذ في الاعتبار الفارق بين الأمثلة المذكورة من حيث الأهمية الاستراتيجية لكل منها بالنسبة لموسكو وحجم نفوذ الأخيرة ومدى تأثرها فيها.

[56] Don Hallett and Daniel Clark Lowes, Petroleum geology of Libya, Elsevier, second edition, 2016, p: 26 ,31.

مقاربة موسكو

أثر الثورات العربية: جزرثم مد

مع بداية الألفية الجديدة وصعود فلاديمير بوتين لسدة الحكم شهد الشرق الأوسط وأفريقيا عودة للدبلوماسية الروسية في محاولة لإعادة إحياء العلاقات مع حلفاء السوفييت السابقين وبناء علاقات أخرى تسمح لموسكو باكتساب تأثير على الساحة السياسة الدولية، وعقب التغيرات السياسية التي اجتاحت المنطقة منذ اندلاع ثورات الربيع العربي وما تبعه من احتجاجات وانقلابات وحروب أهلية خلال العقد الأخير، ازداد الانخراط الروسي في شؤون الدول التي عاشت تلك الاضطرابات بشكل عام، والمطلة على البحر المتوسط بشكل خاص (سوريا، مصر، ليبيا) -مع تفاوت شكل ومدى الانخراط فيها-، مستغلة في ذلك عدة عوامل كتراجع دور الولايات المتحدة في عدة ملفات، وضعف الموقف الأوروبي، وحاجة الأطراف المحلية والإقليمية لإمكانيات ودعم موسكو، لكن قبل أن يشهد مدا، شهد نفوذ وتأثير موسكو في المنطقة انحسارا دام حتى 2014، كما نظرت موسكو للثورات العربية على أنها "ثورات ملونة" وأنها مصدر تهديد قد ينتقل لمناطق نفوذها، وللأقاليم الإسلامية التابعة لها كداغستان، الشيشان، أبخازيا، وبشكيريا وغيرها من مناطق شمال القوقاز ومنطقة الفولغا وكان هذا التخوف -بجانب عوامل أخرى- عاملا أساسيا في اتخاذها قرار التدخل في سوريا في 2015 خصوصا بعد مشاهدة نتائج سقوط النظام في ليبيا.

لدى عودتها للساحة، تميزت سياسة موسكو الخارجية تجاه المنطقة بثلاث سمات أساسية: انتهاز الفرص، البراغماتية، وتغييب الأيدولوجيا، وهو ما ساعدها على اكتساب تأثير في عدة ملفات -أبرزها الليبي-، كما اعتمدت موسكو على ما يسمى الأساليب "دون الحربية"[57] أو "الحرب الهجينة" [58] لتعزيز حضورها العسكري عبر الشركات الأمنية والعسكرية الخاصة، العمل السري، بناء علاقات مع عدة أطراف محلية، إرسال أسلحة ومعدات حربية، والاستثمار في وسائل إعلام ليبية، وقد استغلت محدودية إمكانيات الأطراف الإقليمية وغياب الولايات المتحدة عن الساحة لتفرض نفسها ميدانيا عبر هذه الوسائل.

---

[57] التدابير دون الحربية هي نظرية نظر لها السياسي الأمريكي البارز "جورج كينان"

يمكن الرجوع أيضا للدراسة الآتية:

Ben Connable, Jason H. Campbell, Dan Madden, Stretching and Exploiting Thresholds for High-Order War : How Russia, China, and Iran Are Eroding American Influence Using Time-Tested Measures Short of War, Rand, 2016

[58] عبارة الحرب الهجينة ليس لها تعريف موحد ويستخدمها المحللون والمسؤولون الغربيون بطرق مختلفة، لكن أفضل ما تعرف به هي أنها نشاطات خفية أو قابلة للإنكار تهدف إلى التأثير على السياسية الداخلية للبلد المستهدف.

تأتي منطلقات السياسة الروسية في ليبيا ضمن سياقات متعددة مثل: "عودة روسيا لأفريقيا"، "إيجاد موطئ قدم جنوب المتوسط"، "الهيمنة على إمدادات النفط والغاز"، "استعادة التأثير على ساحة السياسة الدولية"، وبحكم الموقع الجغرافي والجيولوجيا الليبية وموقعها في الساحة السياسية الدولية والإقليمية بعد 2011، وبحكم الظروف الداخلية التي تعاني منها البلاد فإن ليبيا تعد موقعا ممتازا لخدمة كل السياقات السابقة.

المقاربة الأفريقية: ماذا تريد موسكو من إفريقيا؟

تحظى أفريقيا باهتمام خاص في مفهوم السياسة الخارجية الروسية، وقد جاء في المفهوم الصادر في ديسمبر 2016 أن " روسيا سوف توسع العلاقات مع الدول الأفريقية على كافة الأصعدة بشكل ثنائي، ومتعدد الأطراف عبر تحسين الحوار السياسي، وتعزيز العلاقات الاقتصادية والتجارية المتبادلة، وتكثيف التعاون الشامل الذي يخدم المصالح المشتركة، بجانب المساهمة في منع النزاعات الإقليمية وحالات الأزمات، وتعزيز علاقات الشراكة مع الاتحاد الأفريقي"[59] كما جاء في وثيقة "الاتحاد الروسي للأمن القومي الروسي حتى عام 2020"؛ الصادرة في عام 2015 أن "الاتحاد الروسي يطور تعاونا سياسيا وتجاريا واقتصاديًّا وعسكريًّا وأمنيًّا وتقنيًّا، وكذلك الاتصالات الإنسانية والتعليمية مع الدول الأفريقية والمنظمات الإقليمية لهذه الدول"[60].

وتشير التحركات الروسية في السنوات الأخيرة في أفريقيا إلى تولية موسكو اهتماما متزايدا لعدة دول أفريقية أبرزها : ليبيا، السودان، جمهورية أفريقيا الوسطى، أنغولا، زيمبابوي، مدغشقر، الكونغو الديمقراطية، غينيا، غينيا بيساو، وموزمبيق، وقد تجاوزت مبيعات السلاح الروسي لدول القارة مبيعات فرنسا والولايات المتحدة والصين، وكانت الجزائر ومصر وأنغولا على رأس قائمة المستوردين[61]، وتستغل موسكو عدة عوامل مكنتها من رفع حجم صادرات السلاح لدول القارة أهمها: انخفاض تكلفة سلاحها مقارنة بالدول المصدرة الكبرى، النزاعات الإقليمية والأهلية، حظر التسليح الأممي المفروض على بعض الدول، عدم وجود شروط وقيود مسبقة من موسكو في ملفات حقوق الإنسان، والأخير هو أحد العوامل التي مكنت موسكو من تطوير علاقتها بالقاهرة التي لعبت دورا مهما في تسهيل دخولها إلى ليبيا عقب الانقلاب العسكري في عام

---

[59] Concept of the foreign policy of the Russian federation, the ministry of foreign affairs of the Russian federation, 18/2/2013.

[60] Russia's national security strategy to 2020.

[61] Trends in International Arms Transfer, 2019, SPIRI.

2013، وقد بلغت صادرات موسكو خلال أربع سنوات 2015-2019 ما نسبته 49% من إجمالي واردات دول القارة [62].

بالإضافة لملف مبيعات السلاح، جاء انخراط موسكو المتزايد في القارة على شكل تعاون في ملفات أخرى على الصعيدين الأمني والعسكري، حيث وقعت موسكو منذ عام 2015 اتفاقيات تعاون عسكري مع 21 دولة شملت مبيعات السلاح ومنح امتيازات وصول لموانئ بحرية وقواعد عسكرية وتدريب قوات محلية وتعاون في ملف مكافحة الإرهاب، كما تمكنت موسكو من عقد اتفاق تأسيس قاعدة عسكرية بسعة 300 عسكريٍ مع السودان[63] وتبحث إنشاء قواعد في مواقع أخرى أهمها موزمبيق[64]، وعلى الصعيد الاقتصادي تحظى الاستثمارات في مجال الطاقة واستكشاف واستخراج الثروات الطبيعية بتركيز واهتمام موسكو كما تشكل الحصة الأكبر من الصفقات المعقودة، وفي بعض الأحيان تستخدم كوسيلة دفع مقابل توفير خدمات عسكرية وأمنية أو مقابل صفقات تسليح كما في حالة زيمبابوي[65]. والجدير بالذكر أن موسكو تعتمد على الشركات الأمنية والعسكرية الخاصة بشكل متزايد في الأعمال ذات الطابعين الأمني والعسكري لتضمن بذلك حرية حركة أكبر خصوصا في الساحات المضطربة كالسودان وليبيا وجمهورية أفريقيا الوسطى.

درجات الحضور والتأثير الروسي في أفريقيا

Trends in International Arms Transfer, 2019, SPIRI.[62]

Alexander bratersky, Sudan to host Russian military base, DefenseNews 13-Nov-2020[63]

Jacob hedenskog , Russia is stepping up its military cooperation in Africa, Swedish Defense Research Agency, 2018, p: 2.[64]

Martin Russell and Eric Pichon, Russia in Africa a new arena for geopolitical competition, European parliamentary Research service, November 2019.[65]

ومما سبق يتضح أن روسيا تنطلق في تحركاتها في الشمال والجنوب الأفريقي من دوافع استراتيجية تتجاوز ملف النفط والغاز وتوظيفه لتضييق الخناق على أوروبا. ويمكن تقسيم مقاربة موسكو لدول القارة لمقاربة شمالية وأخرى صحراوية، فالانخراط في الشمال الأفريقي مدفوع بطموحات روسيا الجيوسياسية التاريخية بالدرجة الأولى (النفاذ للبحر المتوسط والتمركز على ضفافه الجنوبية)، فإيجاد موطئ قدم في المتوسط حيث تتجمع مصالح دول من ثلاث قارات أوروبا وأفريقيا وآسيا، وحيث تتشابك العديد من المصالح الإقليمية والدولية، من شأنه أن يضع روسيا في قلب الملفات السياسية الشائكة –النزاعات الحدودية، الهجرة، النفط والغاز، التجارة في المتوسط- مما يسمح لها بإمساك خيوط قد تعزز من حضورها في المشهد السياسي الدولي والتأثير عليه، بينما تنطلق في تفاعلها مع مناطق القارة الجنوبية من منطلقات اقتصادية بالدرجة الأولى ومن توجهات وزارة الموارد الطبيعية التي تعتبر قارة أفريقيا منطقة مهمة للاقتصاد الروسي على المدى البعيد حيث ينظر لها على أنها ستصبح بديلا مهما للطاقة، كما يوفر القرن الأفريقي نافذة لملفات شرق أوسطية مهمة، وتسعى موسكو لفتح أسواق القارة -شمالها وجنوبها- لمنتجاتها ورفع حجم صادراتها إليها، وتركز موسكو على أسواق السلاح والطاقة النووية التي تستطيع منافسة الصين والاتحاد الأوروبي فيها، كما تشكل مصر وليبيا والجزائر أسواق كبيرة لصادرات القمح الذي تتربع روسيا على عرش تجارته.

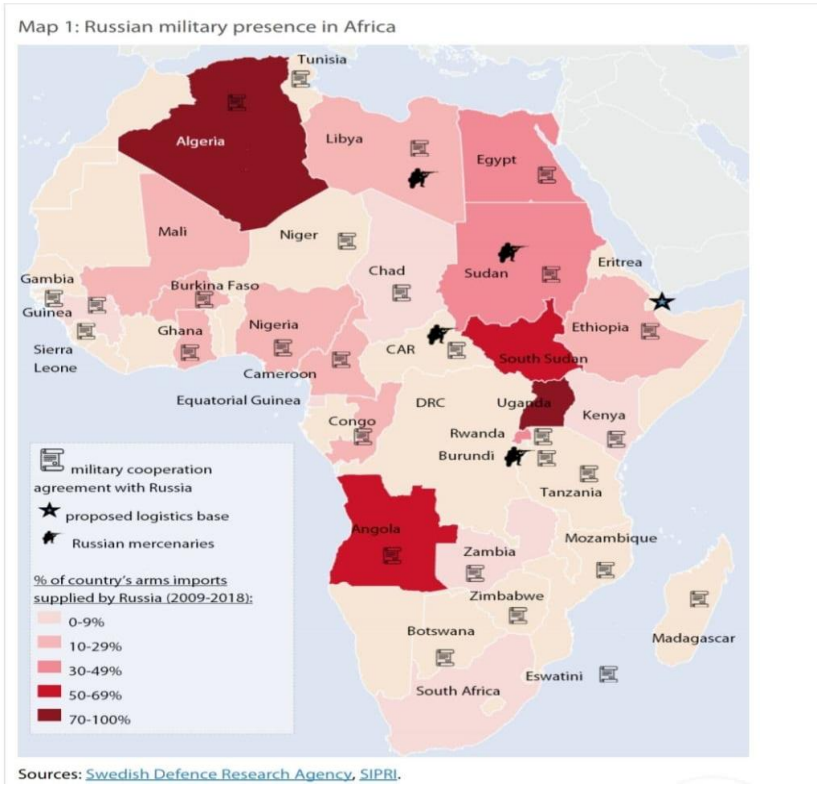

الحضور العسكري الروسي في أفريقيا، ونسب صادرات السلاح الروسي لكل دولة من 2009-2018

المقاربة الليبية : حلفاء واشنطن والشركات العسكرية الخاصة كمدخل للملف الليبي

بدأت ملامح الدور الروسي في ليبيا بالظهور بعد غياب عن المشهد دام 4 سنوات تقريبا، حيث انتشرت أخبار استعانة حفتر بشركات أمنية روسية في المعركة الدائرة بينه وبين مجلس شورى ثوار بنغازي في أواخر 2015، وهو ما أكدته التقارير الرسمية لاحقا[66]، تبع ذلك زيارة حفتر لموسكو مرتين خلال عام 2016 حيث التقى في الزيارة الأولى بوزير الدفاع الروسي وأمين مجلس الأمن ونائب وزير الخارجية، والتقى في الثانية بوزيري الدفاع والخارجية، وبعد غياب قصير ظهر حفتر مجددا على ظهر حاملة الطائرات الروسية أميرال "كوزنيتسوف" في عام 2017، وأعلنت وزارة الدفاع الروسية عن تواصله مع وزير الدفاع الروسي عبر دائرة مغلقة لبحث قضايا "الإرهاب" في الشرق الأوسط[67]، وهو ما أُعتبر إشارة واضحة على دعم موسكو لحفتر في مغامراته العسكرية.

تخللت زيارات حفتر لموسكو زيارات لمسؤولين من حكومة الوفاق وزيارة وفد عسكري تابع لها، لكنها لم تكن على مستوى اللقاءات التي أجريت مع حفتر، ورغم سعى مسؤولي حكومة الوفاق والمجلس الرئاسي كوزير الدفاع الأسبق "المهدي البرغثي" ورئيس المجلس الرئاسي فايز السراج ونائبه "أحمد امعيتيق" لتوطيد العلاقات على الصعيدين الاقتصادي والعسكري إلا أنها لم تثمر تعاونا فعالا على أي صعيد، ويمكن عزو ذلك لعدم جدية موسكو وضعف التمثيل من جانبها، وغياب رغبة حقيقية في بناء علاقات مع جسم مهترئ ومتعدد الولاءات كحكومة الوفاق.

لكن هذا لا يعني دخول موسكو في تحالف استراتيجي مع حفتر، حيث تستغل موسكو اتصالاتها بكافة الأطراف في بناء شبكة علاقات ودوائر نفوذ داخل المعسكرين بما يخدم مصالحها، فحتى في دعمها لخليفة حفتر لا تقتصر موسكو على التواصل معه شخصيا رغم محاولة الأخير الهيمنة على التمثيل السياسي والعلاقات الخارجية لبرلمان طبرق والحكومة التابعة له، ويؤكد هذا مقاربة موسكو للعملية السياسية حيث ارتفع مستوى التنسيق مع رئيس برلمان طبرق "عقيلة صالح" بعد رفض حفتر لمبادرة موسكو لوقف إطلاق النار، ومقاربتها للعمل العسكري حيث تسعى لإيجاد نفوذ داخل قوات حفتر وهو ما جاء في الوثائق الروسية التي تحصلت عليها حكومة الوفاق بعد القبض على عميلين روسيين في طرابلس، حيث جاء فيها أن

---

[66] Maria Tsvetkova, Russian private security firm says it had armed men in east Libya, Rueters, 10-March-2017

[67] حفتر يزور حاملة الطائرات الروسية الأميرال كوزنيتسوف، روسيا اليوم، 11-يناير-2017

روسيا "تعمل على الهيمنة على قرار الحرب عبر تعزيز دور مرتزقة فاغنر، وعبر إيجاد عميل وفيّ وقوي داخل معسكر حفتر يمكن أن ينافسه.[68]

وتسعى روسيا عبر فتح قنوات تواصل مع عدة أطراف على الجهتين لاكتساب تأثير واسع على مسار العملية السياسية في ليبيا، وتكوين روابط بالأطياف السياسية والاجتماعية، فهي على تواصل بنجل القذافي "سيف الإسلام" وقد ساهمت مجموعة فاغنر في الترويج له وفي قيادة حملات تشويه حفتر لصالحه [69]، وقد رصدت إدارة فيسبوك في عملية واحدة 73 صفحة تابعة للفاغنر و7 حسابات على موقع انستغرام تستهدف عدة دول أفريقية من بينها ليبيا، بعضها يعمل على بث دعاية لصالح حفتر وأخرى تخاطب أنصار النظام السابق ببث منشورات تذكر بالأمن والاستقرار الذي كان يوفره النظام، ومنشورات أخرى تروج لسيف الإسلام القذافي[70]، مما يوضح براغماتية موسكو التي تسعى لإحداث تأثير عميق يتجاوز الظرف السياسي الراهن، وبناء شبكة علاقات مثمرة على المدى البعيد، خصوصا في ظل التململ الحاصل من نهج وسلوك بعثة الأمم المتحدة والمبادرات الأوروبية مما يوفر أرضية عمل خصبة لروسيا، وقد صرح وزير الخارجية سيرجي لافروف بأن "القول بأن روسيا تدعم حفتر هو تبسيط للأمور"[71].

تستخدم موسكو "الإجراءات دون الحربية" كطريقة للتمدد وزيادة نفوذها في الفراغ الأمريكي، ولتعويض جوانب ضعفها العسكرية والسياسية، وأحد أهم الأدوات المستخدمة في هذا النهج هو الشركات الأمنية والعسكرية الخاصة، حيث تعمل موسكو عبر هذه الشركات على فتح مساحات للحركة في ساحات يصعب التحرك فيها بشكل رسمي، ويتماشى هذا النهج العملي مع سلوك موسكو البراغماتي والانتهازي في سياستها الخارجية تجاه المنطقة، كما يخدم أهدافها الاستراتيجية بشكل فعال، وبالإضافة لذلك فهي أساليب ذات تكلفة محدودة تؤدي –في حال نجاحها- لتحقيق نتائج جيدة، أما في حال فشلها فإن تأثيرها السلبي على موسكو سيكون محدودا.

---

[68] David D. Kirkpatrick, The white house blessed a war in Libya but Russia won it, New York Times, 14-apr-2020 .

[69] Maria Zholobova and Olga Churakova, with participation of Maria Zholobova and Mikhail Rubin, Master and Chef. How Evgeny Prigozhin led the Russian offensive in Africa, proekt.com, 14-march-2019.

70 Russia's New Tools of Influence in Africa, New York-Russia Public Policy Seminar, a forum co-hosted by the Harriman Institute and the New York University Jordan Center for the Advanced Study of Russia, NYU Jordon Centerhttps://www.youtube.com/watch?v=xvO0N3pjWAM

Lavrov describes claims of Russian Turkish rivalry in Libya as oversimplification, Tass, 5-dec-2020[71]

بدأ دور الشركات الأمنية والعسكرية الروسية الخاصة في الظهور في عام 2015 في بنغازي كما أشرنا سابقا، وفي حين أنه كان ظهورا خجولا، إلا أنه ما لبث أن ظهر بوضوح عقب زيارة حفتر لموسكو في ديسمبر 2018 حيث التقى بوزير الدفاع "سيرغي شويغو" ورئيس الأركان "فاليري غراسيموف" وقد شارك في الاجتماع الذي قابل فيه حفتر كبار ضباط وزارة الدفاع الروسية، رئيس وممول مجموعة فاغنر "يفغيني بريغوجين.

وقد ظهرت نتائج اجتماع كبار ضباط الدفاع وبريغوجين مع حفتر في هجوم 4-4-2019 على طرابلس حين برز دور مجموعة الفاغنر بوضوح لأول مرة، فقدمت موسكو دعما كبيرا بمشاركة مجموعة فاغنر في العمليات القتالية بما لا يقل عن 2500 مقاتل –على امتداد مراحل الحرب- حسب التقديرات الرسمية للمفتش العام للبنتاغون[72]، كما قدمت دعمًا لوجستيًّا ضخما عبر إرسال معدات وأسلحة وقد رصد تقرير للأمم المتحدة (2020) وصول 338 رحلة لطائرات عسكرية روسية من نوفمبر 2019 وحتى يوليو 2020[73]، وأخيرا أرسلت موسكو 14 طائرة طراز MIG-29 و SU-24، كما أوضحت قيادة الأفريكوم في بيان لها[74].

ويعد استخدام المجموعات العسكرية الخاصة تكتيك مكرر اتبعته موسكو في عدة ملفات أخرى مثل : أكرانيا وجزيرة القرم في عام 2014، وفي سوريا قبل تدخلها الرسمي في عام 2015، حيث أرسلت شركات عسكرية خاصة (مجموعة الفيالق السلافية ثم الفاغنر)[75]، مما يظهر أهمية دور هذه الشركات في المنهجية الروسية في التعاطي مع المناطق المضطربة أمنيا وسياسيا.

لكن الدعم العسكري الكبير الذي تقدمه موسكو لحفتر يأتي في سياق خدمة أجنداتها الخاصة المتسقة مع مقاربتها الساحلية، حيث تسعى لتأسيس مواقع نفوذ لها على ضفاف المتوسط الجنوبية مما يتطلب حضورًا عسكريًّا فعالًا و مؤثرًا، وهو ما يجعل استمرار حالة الاحتراب والفوضى مفيدا بشكل كبير لها، فالاضطراب الحاصل في البلاد والنزاع الإقليمي والدولي الدائر على أرضها يمنحها فرصة للتمدد وبناء تحالفات بحكم ما تملكه من إمكانيات تحتاجها الأطراف الإقليمية والمحلية، ومن هذا المنطلق فهي غير مهتمة بمساعدة حفتر في تحقيق انتصار كامل على خصومه، وإنما توظف احتياجه هو و حلفاءه لقدراتها العسكرية لتعزيز حضورها في الملف الليبي، حيث تستخدم موسكو ليبيا كمعبر للتأثير على سياسات البحر المتوسط ومنصة

---

[72] Richard Sisk, Opposing Russian Syrian Mercenary Armies Face Off in Libya's civil War, Military.Com, 19-Jul-2020

[73] Michelle Nichols, Russia steps up support for private military contractor in Libya: U.N report, Rueters, 02-Sep-2020

[74] Dana Stancy Correll, Russian aircraft deploy to Libya to back private military contractors, AFRICOM says, MilitaryTimes, 26-may-2020

[75] Anna borshchevskaya, Russian Private Military companies: continuity and evolution of the model, foreign policy research institute,2019, p: 7

لبناء تحالفات مع القوى الإقليمية -خصوصا مصر- خارج مناطق نفوذها التاريخية لتوسع نطاق تأثيرها ولتكون جزءا من لعبة تقاسم النفوذ في المنطقة.

ينقسم التواجد الروسي الحالي في ليبيا إلى تمركزات ساحلية -سرت، وأجزاء من الهلال النفطي-، وأخرى عميقة في مواقع مفصلية ومهمة في البلاد كالجفرة التي تعتبر نقطة مركزية، و براك الشاطئ وأوباري القريبتين من حقلي الشرارة و الفيل، و هو ما يشكل خطرا استراتيجيا متعدد الأبعاد يتجاوز تهديد أمن الطاقة الأوروبي. ففي حال تمكنت روسيا من إرساء دعائم لحضور دائم في البلاد عبر تعزيز حضورها العسكري و تمتين تحالفاتها مع الأطراف المحلية (حفتر، أزلام النظام، القوى القبلية) والإقليمية (مصر، السودان)، لن يقتصر التهديد على الهيمنة على إمدادات الطاقة أو عرقلتها، بل ربما يتجاوز ذلك بصناعة منطقة نفوذ مطلة على البحر المتوسط، لتتحول لمصدر تهديد و قلق عسكري وأمني لدول حلف الناتو، و قد صرحت قيادة الافريكوم في الجيش الأمريكي في بيان رسمي تحذر فيه من خطورة التمدد الروسي أن الخطوة المنطقية القادمة لروسيا هي نشر أنظمة دفاع جوي لخلق منطقة ردع ومنع وصول ما يعرف بال A2AD[76] Anti Access Area Denial .

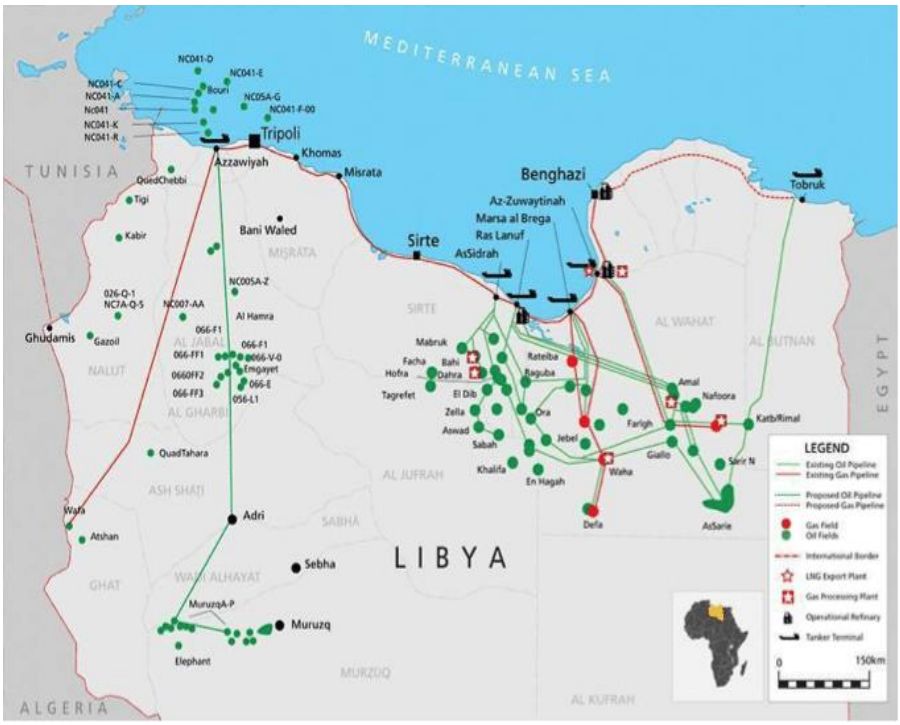

خريطة توضيحية لحقول النفط والغاز وخطوط النقل في ليبيا

[76] Russia deploys military fighter aircraft to Libya, AFRICOM command public affairs https://www.africom.mil/pressrelease/32887/russia-deploys-military-fighter-aircraft-to-l

الموقف الأوروبي والأمريكي والخيارات المتاحة

عزوف واشنطن وضعف أوروبا :

تعتبر ليبيا ساحة هامشية للمصالح الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة، و لهذا لم تشهد انخراطا فعالا من طرف الولايات المتحدة منذ عام 2011 حيث اكتفت واشنطن بالمتابعة عن بعد والانخراط بشكل محدود في ملف مكافحة الإرهاب وتركت إدارة الأزمة للدول الإقليمية والأوروبية.

تكمن أهمية ليبيا الجيوسياسية بالنسبة لواشنطن في تأثيرها على الملفات المهمة لها (مصر، أمن الناتو، سياسات المتوسط) و قد ظلت هذه المصالح غير متأثرة بشكل كبير، لكن مع دخول موسكو على المشهد العسكري و تنامي حضورها على الأرض وفي المشهد السياسي، دقت واشنطن أجراس الخطر بعد فتور طويل تجاه مسألة التمدد الروسي المستمر منذ عام 2018.

ورغم أن تنامي نفوذ موسكو في الملف الليبي يشكل خطرا محتملا على أوروبا وحلف الناتو، إلا أن أوروبا تبدو غير قادرة على اتخاذ موقف موحد و حازم منه، وتبدو الولايات المتحدة أكثر حرصا على أمن حلف الناتو وجنوب أوروبا من بعض الدول الأوروبية التي لم تبدِ أي ردة فعل تجاه تواجد ما يقارب من 2500 مقاتلٍ روسيٍّ مصحوبين بمنظومات دفاع جوي و 14 طائرة من الجيل الرابع جنوب المتوسط، بل إن سياسات بعض الدول الأوروبية كانت عاملا ساعد موسكو على التمدد وفي مقدمتها فرنسا التي تبدو أقرب لروسيا من الولايات المتحدة في كثير من الملفات، حيث تتناغم أجندات باريس مع موسكو في بعض قضايا الشرق الأوسط، كما تشهد العلاقات الاقتصادية بين البلدين نموا حيث تملك شركة توتال الفرنسية حصصا كبيرة في عدة مشاريع في قطاع الطاقة في شمال سيبيريا كمشروع استخراج الغاز المسال Yamal LNGالذي تملك فيه 20%[77] ومشروع Arctic 2 الذي تملك فيه 10% كما وقعت روسيا وفرنسا على هامش منتدى بطرسبورغ الاقتصادي الدولي الذي انعقد في مايو 2018 ستة عقود للاستثمار المباشر في روسيا تبلغ قيمتها نحو 1.17 مليار دولار[78]، ومن الواضح أن موسكو لا تفوت فرصة إلا وتستثمر فيها الضعف الأوروبي والتصدع الأوروبي الأمريكي -الذي ازداد حدة في عهد الرئيس الأمريكي دونالد ترامب- الذي يمتد لملفات أخرى مثل: الاتفاق النووي مع إيران، العلاقات مع الصين، خط الغاز الروسي نورد ستريم 2، الإنفاق

---

[77] Yamal LNG : the Gas that came in from the cold, Total.com, 2017
https://www.total.com/energy-expertise/projects/oil-gas/lng/yamal-lng-cold-environment-gas

[78] نوفتايك الروسية توقع صفقة غاز ضخمة مع توتال الفرنسية، روسيا اليوم، 25-5-2018

الأوروبي على التسليح، وغيرها، ولا شك أن هذه الخلافات تنعكس على السلوك الأمريكي الأوروبي تجاه ملفات أخرى مثل الحالة المطروحة هنا : التمدد الروسي في ليبيا.

عند الحديث عن الموقف الأمريكي من الدور الروسي، لا يمكن إغفال مكالمة جون بولتون الشهيرة التي أعطى فيها لحفتر "الضوء الأصفر" -على حد تعبيره- بالهجوم على الحكومة المعترف بها من واشنطن والأمم المتحدة في طرابلس، و التي قال فيها مستشار الأمن القومي للرئيس الأمريكي مخاطبا حفتر : "إذا كنت ستهاجم فافعل ذلك بسرعة"[79]، ثم عادت واشنطن لاحقا لاستنكار الهجوم والتحذير من دور الفاغنر، مما يوضح أن واشنطن لم تكن غائبة عن المشهد تماما و أنها تعاني "تخبطا" على صعيد رسم سياسات واضحة من الدور الروسي في ليبيا، رغم أنه من المفترض أنه يمثل تهديدا وفق استراتيجية الأمن القومي لإدارة ترامب، وفي ظل هذا الموقف "المتخبط"، عم أوروبا الصمت، باستثناء الموقف البريطاني، حيث دعت بريطانيا لعقد جلسة طارئة بمجلس الأمن في 8 إبريل دعت فيها لإصدار بيان ينص على ضرورة محاسبة قوات حفتر، إلا أن موسكو اعترضت على المقترح البريطاني[80]، وكانت بريطانيا قد أخذت على عاتقها إدانة وفضح الدور الروسي في ليبيا منذ بدايته فحذرت منه على لسان وزير دفاعها مايكل فالون في عام 2017 وأصدرت صحيفة The Sun البريطانية تقريرا في أكتوبر 2018 نقلت فيه عن مصادر مخابراتية وجود عشرات من عناصر القوات الروسية الخاصة الـSpetsnaz والمخابرات الروسية GRU بشرق ليبيا في طبرق وبنغازي[81]، كما قدمت مشروعا في مجلس الأمن يطالب بإخراج مرتزقة الفاغنر في عام 2019[82].

تغلغل موسكو في المشهدين العسكري والسياسي قابله انخراط –متأخر- متزايد من واشنطن التي انفردت بإصدار التحذيرات من الانتشار الروسي، حيث أصدرت قيادة الأفريكوم بيانات رسمية تحوي معلومات استخبارية عن طبيعة وخطورة التواجد الروسي، وأصدر الكونجرس الأمريكي قانون "استقرار ليبيا" الذي يستهدف بالدرجة الأولى الوجود الروسي في البلاد[83]، بالإضافة لتقديم واشنطن دعما سياسيا لتركيا في دورها في الحرب الأخيرة، كما أعلن وزير الخارجية بومبيو عن استهداف بلاده لشبكات تتبع مجموعة فاغنر،

---

[79] David D. Kirkpatrick, The white house blessed a war in Libya but Russia won it, New York Times, 14-apr-2020

[80] ليبيا : واشنطن تدعو حفتر لوقف هجومه على طرابلس وموسكو تجهض بيانا ضده بمجلس الأمن، فرانس 24، 8-ابريل-2019

[81] Tom Newton Dunn, PUTIN TROOPS IN LIBYA : Intelligence chiefs have told Theresa May that Vladimir Putin wants to make the war-torn North African nation "his new Syria, 8-Oct-2018

[82] . بريطانيا تقدم مشروع قرار أممي يطالب بسحب المرتزقة من ليبيا، روسيا اليوم ، 1-فبراير-2020

[83] H.R.4644-Libya Stabilization Act: https://www.congress.gov/bill/116th-congress/house-bill/4644/text#toc-H30FF2EA933DB472092EC146485A5EF02

إلا أن القيادة الروسية لم تلقِ بالا للتحذيرات الأمريكية والاستهداف ذو الطبيعة المجهولة الذي أعلن عنه بومبيو، فطائرات الشحن الروسية العملاقة لازالت تأتي محملة بالأسلحة والآليات والمقاتلين[84]، كما أن انتشار مجموعة الفاغنر لم يتأثر و لازالت قاعدة الجفرة مركزا حيويا لقواتها بالإضافة لتعزيز حضورها في قاعدة الخادم الإماراتية شرق ليبيا، بل إن أعداد مقاتلي فاغنر تشهد ازديادًا، كما تم جلب مرتزقة سوريين أشرفت الفاغنر على تجنيدهم وتدريبهم في سوريا حتى بعد انتهاء معارك طرابلس[85]، والجدير بالذكر هنا هو أنه في حال نجاح نموذج التجنيد السوري، قد تستخدم الفاغنر أساليب التجنيد والتأهيل في ليبيا أيضا خصوصا في ظل تردي الأوضاع الاقتصادية واعتماد اقتصاد الحرب كمصدر دخل عند شريحة متزايدة من الشعب، ورغم أن النموذج السوري يختلف في جوانب عدة من جهة عمق الروابط والعلاقات وحجم النفوذ والتأثير وحرية الحركة، وأيضا من جهة مدى أهلية واستعداد العناصر المجندة إلا أنه يظل احتمالا واردا. وتوضح استجابة روسيا لردود أفعال الولايات المتحدة أنها لا تعتبر التحذيرات الأمريكية جادة، وهو تقدير دقيق إذ يبدو أن الولايات المتحدة -حتى مع قلقها المتزايد- لن تنخرط بشكل مباشر في المشهد الليبي وستكتفي بدفع تركيا الطامحة في التمدد وزيادة نفوذها في البحر المتوسط لموازنة الدور الروسي.

لا تعتمد روسيا في تمددها –بصفة عامة- على عوامل قوة داخلية، إذ تظل تدخلاتها خارج مناطق تأثيرها محدودة وبتكلفة منخفضة نسبيا، وهي تعمل وفق مقاربة انتهازية تستغل العوامل والظروف السياسية الخارجية كغياب الولايات المتحدة، والاضطرابات الإقليمية والدولية، لملء الفراغات والثغرات الموجودة على الساحة الدولية، وهي تنتقي أهدافها بدقة لتجنب صدام جدي مع واشنطن، وعلى الجهة الأخرى لا تشير تحركات واشنطن إلى تخوف كبير من الدور الروسي، حيث تبدو واثقة من تقييمها للإمكانيات الروسية "المحدودة" ومن قدرتها على تحجيمها، ويذهب بعض المحللين للقول بأن واشنطن –تحت إدارة ترامب- تستغل الطموح الروسي في بعض الملفات للضغط على أوروبا وتطويعها في ما يتعلق بقضايا الخلاف بين الحليفين.

[84] Heavy lift to Libya, itaMilradar, 4-Aug-2020

[85] Russian hiring of Syrians to fight in Libya accelerated in may, Reuters, 7-Jun-2020

صور أقمار صناعية نشرتها قيادة الأفريكوم لطائرات Mig-29 في قاعدة الجفرة العسكرية

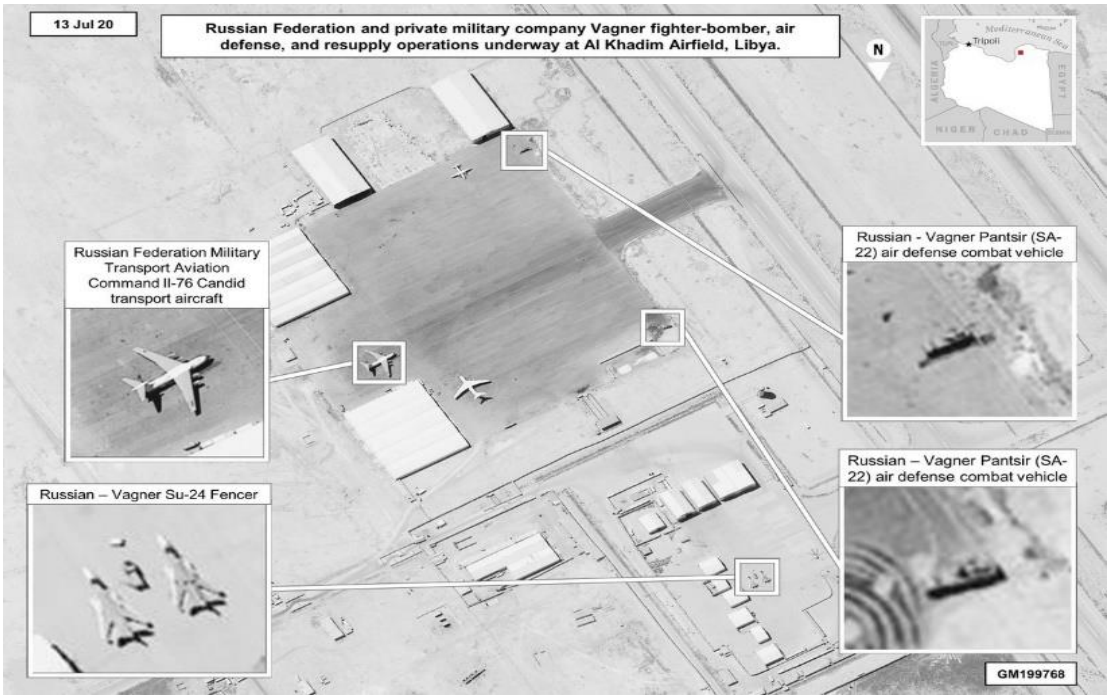

صور أقمار صناعية نشرتها قيادة الأفريكوم للطائرات الروسية في قاعدة الخادم الإماراتية شرق ليبيا

حلفاء واشنطن كجسر لموسكو:

في تعزيزها لدورها في الحالة الليبية ترتكز موسكو على عدة عوامل، أهمها :

1: نفوذ حلفاء حفتر العرب الذين يقودون الجهود الحربية لدعمه، واحتياجهم لدعم موسكو، فقد تغذت موسكو في تدخلها على نقص الإمكانيات عند حلفاء حفتر حيث لم يعد لدى مصر والإمارات ما تقدمه على صعيد تطوير القدرات العسكرية و الهجومية، وقد استفادت موسكو من هذه الدول سواء بتوظيف

موقعها الجغرافي أو باستغلال منشئاتها العسكرية داخل و خارج ليبيا، كقاعدة الخادم الإماراتية في ليبيا وقاعدة سيدي براني في مصر[86] أو بالاستفادة منها في تمويل أنشطة موسكو كما أظهر تقرير المفتش العام للبنتاغون[87]، كما توفر علاقات هذه الدول بالمكونات السياسية والاجتماعية الليبية مدخلا مهما يمكن أن تستفيد منه موسكو لمد علاقاتها بالأطراف المحلية وزيادة تأثيرها في المشهد السياسي.

2: حالة الاحتراب والفوضى التي توفر غطاءً ومبررا لضخ الدعم العسكري، وهي نقطة تعيدنا للنقطة الأولى، فدور حلفاء واشنطن العرب في قيادة ودعم العمل الحربي في البلاد محوري ولا يمكن استمرار العمل العسكري إلا به، فالإمكانيات العسكرية و المادية المحلية لا تسمح بشن عمل عسكري قابل للاستدامة، و هنا يأتي دور الطائرات المسيرة، مرتزقة السودان و تشاد و مجموعة فاغنر، الإمدادات اللوجستية الكبيرة، منظومات الدفاع الجوي، الدعم الفني و التقني، وأخيرا وليس آخرا قيادة جهود دبلوماسية تعطي الحراك العسكري بُعدًا سياسيًّا يسمح لحفتر بالخوض في الشأن السياسي والمفاوضة بصفة رسمية رغم انتهاكات قرار حظر التسليح بشكل متكرر، ارتكاب جرائم حرب، الانقلاب على الحكومة المعترف بها، إيقاف إنتاج النفط، طباعة العملة في روسيا، و غيرها من التجاوزات والانتهاكات للقانونين المحلي والدولي.

اعتماد روسيا بشكل رئيسي على هذه الركائز يكشفها بشكل كبير أمام الولايات المتحدة، حيث تملك واشنطن القدرة الأكبر على فرض تسوية من شأنها أن تؤدي لاستقرار نسبي، فالداعمان الأساسيان لحفتر اللذان تستغلهما موسكو –الإمارات ومصر- هما من أهم حلفاء واشنطن في المنطقة، وهي تمتلك تأثيرا كبيرا على قيادات البلدين، كما تملك الإدارة الأمريكية سبلَ ضغطٍ اقتصادية وسياسية وأمنية من شأنها أن تقوض النفوذ الروسي في ليبيا إذا ما مثل تهديدا فعليا لمصالحها، لكن من الواضح أن عملية تقويض النفوذ الروسي في ليبيا –التي ستحتاج استثمارًا سياسيًّا وانخراطًا أمنيًّا أكبر- لم تكن أولوية على أجندة واشنطن في عهد ترامب، كما يشكل تقاطع مصالح حلفاء واشنطن الإقليميين مع مصالح موسكو عاملا آخر يحُول دون ذلك، على الجهة الأخرى تبدو دول أوروبا قليلة الحيلة أمام روسيا فهي تفتقد لنفوذ حقيقي على الأرض، وعلى الصعيد السياسي لا تملك إلا رعاية ودعم الجهود الدبلوماسية الأممية التي غالبا ما تعود بنتائج عكسية.

---

[86] Samuel Charap, Elina Treyger and Edward Geist, Understanding Russian intervention in Syria, rand corporation, 2018, page 15

[87] Amy Mackinnon, Jack Detsch, Pentagon says UAE possibly Funding Russia's Shadowy mercenaries in Libya, Foreign Policy, 30-Nov-2020

لقد أثبتت "الوساطة السياسية" الأممية فشلها في فرض تسويات تقود لاستقرار حقيقي، ولم تكن هذه الوساطات في أحسن أحوالها سوى فترة هدنة وترتيب أوراق للأطراف الإقليمية والمحلية الساعية لاستنساخ نتائج تجربة الانقلاب في مصر، بل كانت الوساطة الأممية في بعض مراحلها خادمة لأجندة هذه القوى كما في حالة المبعوث الأممي برناردينو ليون، كما أفسحت المجال لصعود تيار الحمائم على الطرف الآخر، ما أدى لإحداث خلل في توازن المواقف وهو ما شجع حفتر وداعميه على شن هجومهم على الحكومة التي لطالما تبنتها ودعمتها الأمم المتحدة، وكنتيجة لفشل الدبلوماسية الأممية التي أغفلت التدخلات العسكرية الأجنبية والانتهاكات المحلية والدولية من حساباتها طوال السنوات الماضية، اقتحمت موسكو المشهد عبر حلفاء حفتر وباستخدام شركاتها العسكرية الخاصة لتأخذ لنفسها مكانا بالقوة، وليس من المبالغة القول بأن الإخفاق الأممي والتخبط والعزوف الأمريكي تجاه الأزمة الليبية كانا من أهم العوامل التي حفزت موسكو على إرسال ما يزيد عن 2000 مرتزق وصلوا لضفاف الناتو الجنوبية. وفي ظل هذه العوامل المتداخلة "تنامي الدور الروسي، الفشل الأممي، عجز أوروبا، وغياب الولايات المتحدة" تبرز أهمية الدور التركي -حتى عند منتقديه ورافضيه- كحل جزئي لهذه الإشكالات، فالوجود التركي يخدم واشنطن وأوروبا بصنعه لحالة توازن أمام الدور الروسي، ويوفر دعمًا لحكومة الوفاق من شأنه أن يشكل عامل ردع لحلفاء حفتر، مما يحسن قدرة معسكر الوفاق في التفاوض وإملاء الشروط –وهو ما لم يحدث في ظل التشرذم الحاصل والصراعات الداخلية وتصدر تيار الحمائم للمشهد السياسي وفشله في الاستفادة من التغيرات التي شهدتها الساحة خلال السنة ونصف الأخيرة-، ورغم إحداث التدخل التركي للتوازن، إلا أنه يخدم موسكو على أصعدة معينة، كما يخدم حضور موسكو أنقرة، وهي ثنائية ملحوظة في أكثر من ملف، وهو ما يجعل ليبيا حلقة في سلسلة ملفات تتقاطع فيها مصالح البلدين، ويوفر لهما فرصة للإمساك بزمام المسارين السياسي والعسكري، وقد أشار لهذا وزير الخارجية الروسي "سيرجي لافروف" بقوله "إن التهدئة الحالية هي نتاج تفاهم روسي-تركي".[88]

[88] Lavrov describes claims of Russian Turkish rivalry in Libya as oversimplification, Tass, 5-dec-2020

صورة أقمار صناعية تظهر طائرتين C-17 عسكريتين بقاعدة سيدي براني قرب الحدود الليبية

الخاتمة

آفاق ومآلات الدور الروسي:

في سياستها "التوسعية"، تستخدم موسكو وسائل غير تقليدية تمنحها قدرة على استخدام القوة العسكرية بخفة أكبر و تكلفة أقل وتسمح لها باستثمار النجاحات العسكرية سياسيا و النأي عن عواقب فشلها مما يضع خصومها في حالة حيرة حول كيفية التعامل معها[89]، كما تسمح لها هذه الوسائل بالتحرك على طول خطوط التماس مع مصالح واشنطن دون إحداث أزمة كبرى في العلاقات بين البلدين، وهي تتحين الفرص السانحة التي يتيحها الظرف السياسي الدولي -كما حصل في شرق أوكرانيا و جزيرة القرم، و سوريا- للقيام بخطوتها، وتمثل ليبيا ساحة تجربة مثالية لهذه السياسات، حيث يمكن لموسكو أن تقيس فيها -بالنظر لردة فعل الولايات المتحدة- الحدود الفاصلة بين مصالح البلدين في المنطقة وتدفع باتجاه مصالحها باستخدام هذه الوسائل.

يشبه الدور الروسي في ليبيا حاليا الدور الروسي في سوريا ما قبل عام ٢٠١٥، من حيث الدعم العسكري المحدود عبر الشركات العسكرية والأمنية الخاصة، توفير الدعم اللوجستي والتقني والفني ، تقديم الدعم السياسي، التوسط بين الأطراف المتنازعة، وغيرها من الوسائل "دون الحربية"، لكن هذه الوسائل لم تحقق نجاحا في سوريا مما يندرج ضمن أسباب عديدة دفعت روسيا لتوسيع نطاق تدخلها، وهو ما يقودنا للإجابة عن تساؤل مطروح، ما هي آفاق الدور الروسي في ليبيا؟ و هل تبني موسكو تواجدها تدريجيا لغرض نقل دورها لمستوى تدخل على نطاق واسع؟، ورغم أن ليبيا هي المرشح الأقوى لذلك من بين الدول التي تتدخل موسكو في شؤونها في الشرق الأوسط وأفريقيا (السودان، أفغانستان، أفريقيا الوسطى وغيرها) ، إلا أن الإجابة هنا بالنفي، وذلك لعدة أسباب أهمها:

1) أن ليبيا لا تمثل مصلحة حيوية كتلك التي تمثلها سوريا، والفوضى فيها لا تشكل مصدر خطر على الأمن القومي الروسي.

2) وجود خطر تصادم مع الناتو وحدوث رد فعل دولي يفقدها المكاسب التي تجنيها باستخدامها للوسائل الحالية.

[89] Prof. Kimberly Marten, “What is the Wagner Group?”, The Inquiry, BBC, 22-March-2019

3) العقبات اللوجستية وغياب الإمكانيات العسكرية والاستخبارية التي يتطلبها التدخل على نطاق واسع.

4) المكاسب الجيوسياسية التي تجنيها موسكو من تدخلها المحدود باستخدام الأساليب السالف ذكرها أكبر من تلك التي ستجنيها في حال قامت بتوسيع نطاق تدخلها.

5) غياب المبرر السياسي لمثل هذا التدخل.

6) محدودية قدرات موسكو السياسية والاقتصادية.

بالإضافة لهذه العوامل، فإن سلوك الإدارة الأمريكية الجديدة تجاه أفريقيا عموما والملف الليبي خصوصا سيلعب دورا في رسم حدود الدور الروسي الذي يحاول أن يجعل من أفريقيا ساحة نفوذ في الوقت الذي تخفض فيه الولايات المتحدة من تواجدها في أفريقيا عموما وغرب أفريقيا خصوصا وتسحب دعمها لعملية برخان الفرنسية التي تعاني من التكاليف المرتفعة والحاجة للإمكانيات الأمريكية[90] ، الأمر الذي يبدو أن موسكو تسعى لاستغلاله.

يمتد الحضور الروسي في ليبيا حاليا عبر حوضي سرت ومرزق، مما يفتح الطريق أمام موسكو لدول جنوب القارة ودول الساحل والصحراء والتي تملك معها اتفاقيات تعاون عسكري وأمني (السودان، أفريقيا الوسطى، النيجر، بروكينا فاسو، مالي) ويتواجد في بعضها مجموعات الفاغنر، مما يسهل لوجستيات الإمداد والحركة ويعطيها مدى وصول أكبر[91]، خصوصا مع توطيدها العلاقات مع الانقلابيين في مالي[92]، وإنشائها لقاعدة عسكرية في السودان، و تعزيزها لحضور الفاغنر في جمهورية أفريقيا الوسطى، كما أن وجود مجموعة الفاغنر بالقرب من مجموعات المرتزقة من تشاد والسودان في ليبيا يمنحها قدرة أكبر على توظيفهم والتعاون معهم والتواصل مع جهات أفريقية فاعلة للتأثير على سياسات المنطقة والحركة فيها.

---

[90] John Campbell, Cutting U.S military support for France in west Africa would be a mistake, Council of Foreign relations,28-Jan-2020

[91] يسهل تواجد الفاغنر في الصحراء الليبية والجنوب الليبي لوجستيات الحركة والإمداد حيث تنقل مجموعة الفاغنر إمداداتها لأفريقيا الوسطى عبر خط نقل (سوريا-بنغازي-دارفور-الكفرة) –مصادر محلية-

[92] تشير بعض التقارير لعلاقة موسكو بانقلاب 18 أغسطس في مالي على خلفية عودة ضابطين (Malick Diaw, Sadio Camara) ممن خططوا للانقلاب من موسكو قبل أيام من حدوثه.

-Samuel Ramani, Why Russia is a Geopolitical winner in Mali's coup, Foreign Policy Research Institute, 16-Sep-2020

إن هذا الحضور الممتد من الساحل الليبي وعبر صحراء البلاد يمنح موسكو تأثيرا على ملفات كثيرة، وهو الغرض الأساس من مغامرة بوتين في ليبيا الذي يعمل على إعادة روسيا للمسرح السياسي العالمي، وقد بات بإمكان روسيا التأثير على ملفات مهمة لأوروبا كالهجرة والطاقة ومكافحة الإرهاب، لكن تظل إمكانيات موسكو محدودة، فهي لا تنطلق من عوامل قوة داخلية (اقتصادية، عسكرية) في مقاربتها لتدخلاتها البعيدة، وإنما تعتمد على أساليب منخفضة التكاليف تعطيها القدرة على تحقيق مكاسب متوسطة وأحيانا حتى المكاسب تكون محل شك، والأهم بالنسبة للقيادة الروسية أنها تعطيها القدرة على فرض نفسها كلاعب دولي يملك تأثيرا واسعا.

إن محدودية إمكانيات موسكو وغياب حوافز وعوامل مساعدة لنقل دورها من تدخل محدود إلى تدخل واسع النطاق، يعني أن إمكانية جني أي مكاسب استراتيجية كبيرة يظل هدفا بعيد المنال، ما يعني أن الشكل الحالي لتدخلها هو أفضل ما تطمح له موسكو، وقد يعني أنها ستوجه تركيزها لاستنساخه في دول ذات ظرف سياسي وأمني مشابه حين تسنح الفرصة، ويمكن القول إن أفضل ما يمكن تحقيقه الآن هو الإمساك بزمام المشهد السياسي الليبي، والدفع باتجاه تسوية تحقق مصالحها، وإبقاء أوروبا والناتو على أطرافهم، وجعل الملف الليبي أحد ملفات المساومة والتأثير على القارة العجوز، كما يمكن لموسكو أن تعزز حضورها في منطقة الساحل والصحراء باستخدام الجنوب الليبي كبوابة نحو عمق القارة.